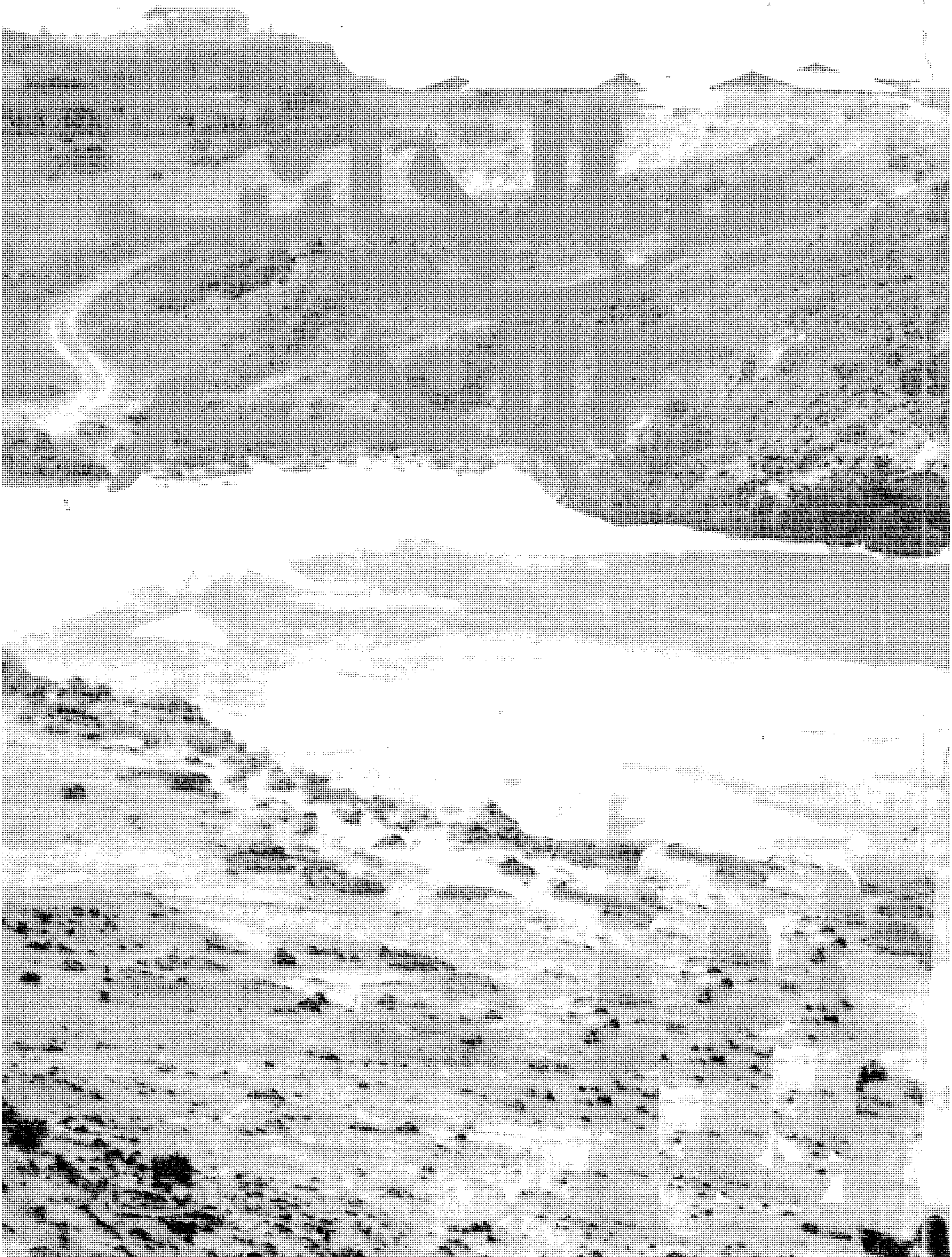
سيف بن سعيد السعدي



اهداءات ١٩٩٨

وزارة التراث القومي والثقافة

سلطنة عمان



من الجانب الاخر

روايــة

بقلم : **سيف بن سعيد السعدي**

الطبعة الاولى : ١٩٩٧م

إهـــــداء

إلى أولئك الرجـال الذين صنعوا المجـد لبلادهم ووقـفوا كالجبال الشماء في وجه تقلبات الاحداث . . .

إلى كل محب لهذا الوطن الغالي .

سيف السعدي

تمهيد . .

التاريخ العُماني تاريخ حافل بالاحداث منذ قدوم الأزد إليها وعبر تاريخنا الطويل ، ومن منطلق الاهتمام بالتراث والتاريخ العماني وجمعه من مصادره المختلفة ونشره وتوثيقه، كل هذا يحتم على الأدباء والكتاب أن يتناولوا هذه الجوانب في ابداعاتهم .

ولعل الأديب الراحل عبدالله الطائي أول من وظف التاريخ العُماني في الأدب القصصي في قصته « الشراع الكبير » .

وفي هذه القصة نتناول جانباً آخراً من جوانب التاريخ العُماني في شرق افريقيا وفي فترة شهدت تحولات كبرى كان لها الاثر الكبير في مجريات الاحداث العالمية .

وأتمنى أن تنال اعجاب القارئ في كل مكان .

المؤلف

- ١ -

كانت البرزه تغص بالمهنئين الذين حضروا لتهنئة السلطان المعظم بمناسبة افتتاح قصره الجديد « بيت الراس » .

كان صدر المجلس خالياً إذ لم يحضر السلطان بعد، فقد تعود أن يتأخر قليلاً بعد صلاة سنة الضحى التي تعود أن يؤديها مع نفر من حاشيته .

كان السيد ماجد وأخوه السيد برغش ضمن حضور الجلسه بالاضافة إلى رجال الدولة وكبار الشيوخ والتجار واعيان زنجبار والقناصل المقيمين في زنجبار .

نادى حارس الباب بأعلى صوته :

— السيد المعظم قادم .

وتململ الحضور في جلستهم كل يعدل من جلسته وهيئته ومنهم من اعاد ربط عمامته ومنهم من مسح على لحيته لمزيد من الوجاهة أمام عظمة السلطان .

دخل السلطان بقامته المديدة ، عليه علامات الوقار والصحة والسعادة، من يراه لا يظن أنه في نهاية العقد الخامس من عمره.

عندما دخل السلطان إلى البرزه هب جميع الحضور وقوفاً للسلطان وتوقيراً له، فسلم عليهم وتقدم إلى المجلس المخصص لعظمته .

السلطان :
- الحمد لله أرى أن مجلسنا اليوم عامراً بوجهاء البلاد .
السيد ماجد :
- نعم ياسيدى فهؤلاء جميعاً أتوا مهنئين ومباركين افتتاح القصر السلطاني الجديد « بيت الراس » .
- نحمد الله أيها السيد أن جعل بلادك عامرة آمنة، وكل رعاياك في خير ومسرة في عُمان والبنادر والسواحل .
السلطان :
- الفضل أولاً لله سبحانه وتعالى ومن ثم الفضل لكم أيها المشايخ ولولا وقوفكم معي في وجه الطامعين والغوغاء لما كان لهذا الشعب ولهذه البلاد كل هذا المجد العظيم، والمجد ليس لفرد منا وانما لنا جميعاً أهل الغبيراء .
تمتم أهل المجلس :
- الحمد لله . . . الحمد لله . . .
وقف القنصل الانجليزي وقال موجهاً كلامه للسلطان :
- نعم يامولاي فقد زرت شتى بقاع ممالك ملكتنا العظيمة فكتوريا - أعزها الله - فلم أجد بلاداً أسعد من بلادك أمناً وخيراً وعدلاً فأرجو يامولاي أن تقبل مني تسميتها بالبلاد السعيدة .
السلطان :
- شكراً أيها القنصل ونحن سعداء بصداقتنا مع جلالة الملكة فكتوريا . . فبلغها تحياتنا في أقرب برقية تبعثها إلى حكومتكم

أحد المشايخ :

- لا يقدر هذا الرخاء يامولاي، وهذا النعيم الذي تعيشه بلادكم العظيمة - حماها الله - الا من عاش سنواتكم الاولى لاستلامكم الحكم، فقد كانت سنوات شديدة كالحة فقضيت منها عمراً مجاهداً في البر والبحر حتى اصبحنا فيما نحن فيه اليوم ، والملك العظيم ياسيدي لا يبنيه إلا الرجال .

السلطان:

- نعم أيها الرجال لم أنس تلك الايام ولم أنس الرجال الذين طحنتهم الحرب في سبيل هذا الوطن العظيم فرحمة الله عليهم .

****

زنجبار قبلة انظار العالم بفضل ما بذله السلطان السيد سعيد ابن سلطان البوسعيدي في تطويرها وعمارتها بالمدن والقصور وبفضل زراعة شجرة القرنفل التي ادخلها السلطان إلى هذه الجزيرة وما جاورها من جزر الساحل الشرقي لافريقيا .

كان قصر المتوني من اعظم قصور السلطان في زنجبار .

كانت السفن القادمة من الشمال تشاهد القصر المنيف بلونه الابيض وهي في عرض البحر .

يعج القصر بالحركة منذ الفجر، إذ يصحوا العبيد في الطابق الارضي قبل آذان الفجر لاعداد موائد الافطار في كل

اجنحة القصر، فيما تقوم بعض الخادمات بجلب الماء إلى القصر، كل واحدة منهن تحمل « الهاندو » على رأسها مملوءاً بالماء لتصبه في « الخروس » الكبيرة المصنوعة من الفخار .

كانت السيدة عزه بنت سيف زوجة السلطان هي المشرف العام بالقصر، وكان العبيد يرتعشون عند ذكر اسمها، فقد كانت امرأة غضوبة لا تعرف الابتسامة طريقاً إلى وجهها العابس وتوقع العقاب الرادع على كل من يقصر في أداء عمله.

عزة بنت سيف هذه من المحضيات لدى السلطان ومن اعز النساء إلى نفسه الا أنها امرأة لم تنجب أولاداً من عظمة السلطان، وهي ترى كل يوم العشرات من أبناء وبنات السلطان من النساء الاخريات يلهون في نواحي القصر مما انعكس عليها وخلق الاكتئاب في نفسها .

كان على جميع ابناء السلطان الصغار وابناء العبيد بالقصر أن يذهبوا إلى جناحها كل صباح لالقاء تحية الصباح عليها، والويل كل الويل لمن لا يذهب لالقاء تحية الصباح .

كان الاطفال الصغار ينفرون ويصدرون أصواتاً عالية وهم يتزاحمون على السلم المؤدى إلى جناحها بالطابق العلوى من القصر .

عندما يطلون عليها يلزم كل واحد منهم الصمت فلا ينطقون الا بتحية الصباح، وإذا رأت وجهاً جديداً سألته بنبرة صوتها الحادة :

– من أنت يا ولد ؟
– أنا ؟
– نعم أنت .
– مكوندي يا سيدتي .
– متى أتيت إلى هنا ؟
– عصر الامس.
– مع من ؟
– مع أمي يا سيدتي .

تدخلت احدى بنات السلطان تدعى سالمة، كانت حادة النظرات، قوية الشخصية، جريئة مع من هم أكبر منها سناً فقالت مخاطبة السيدة عزة :

– هذا ابن خادمة أمي جيليفدان .
– وهل تحتاج امك إلى خدم يخدمونها أكثر مما في جناحها ؟
– هي هدية من ابي السلطان .
– عرفنا أن أباك السلطان . . هيا اختفوا من أمامي ايها الجرذان الصغار .

تدافع الصغار على الباب مولين الادبار بعد أن ادوا الولاء والطاعة للعجوز البغيضة وبعد محاكمة قصيرة أوقفت أنفاس الصغار .

****

في أحد أجنحة القصر جلست جيليفدان مع ابنتها الصغيرة سالمة وهي تخيط ثوباً تنوى تقديمه لزوجها السلطان بمناسبة حلول العيد.

- مالك حزينة يا سالمة ؟
- لا شئ يا أمي .
- كيف لا شئ وأنت غارقة في التفكير والنظر إلى البحر .
- أفكر في بلادنا عمان .
- ما بها ؟
- لست أعرف كيف هى .
- هي بلاد كبيرة بأرض الله الواسعة .
- أعنى يا أمي أود الذهاب لزيارتها .

ضحكت جيليفدان من قول ابنتها الصغيرة .

- زنجبار أيضاً بلادنا وعمان وزنجبار تحت حكم السلطان .
- نعم ولكن أريد زيارة قصور أبي التي في مسقط وأود زيارة أخي ثويني، وزيارة مزارع النخيل هناك . . . يقال أن النخيل تملأ أرض عمان .
- نعم يا ابنتي ولكن الذهاب إلى هناك ليس بالامر السهل . . فحتى تصلي إلى هناك عليك أن تركبي البحر لأيام وأسابيع وقد يطول لشهر أو لشهرين إن كانت الرياح غير مواتية، وبالتالي ذلك ليس بالامر الميسور علينا نحن النساء . . ومن يدري فقد تذهبين مع ابيك لزيارة عمان .
- سمعت يا أمي أن المرأة الشريرة ولدت في عمان .

– عيب هذا الكلام يا سالمة .. فعزة بنت سيف ليست شريرة كما تتصورين، وهي زوجة لأبيك السلطان ولو عرف أبوك هذا القول لغضب عليك غضباً شديداً .

– أتعرفين ماذا قالت عنك اليوم ؟

– ماذا قالت ؟

– عندما عرفت ان أبي قد أهداك خادمة جديدة هي أم مكوندي قالت أنك لست في حاجة إلى خادمة جديدة .. انها تكرهك يا أمي .

– لا يا بنيتي هي لا تكرهني هي صاحبتي .

– لا ليست صاحبتك بدليل، أنها لا تقف لك عندما تسلمين عليها .

– هي امرأة كبيرة ويصعب عليها الوقوف في كل مرة .

عزة بنت سيف من عمان لم يرزقها الله بولد من السلطان وكم يؤلمها ذلك، وهي لذلك متسلطة في القصر تأمر وتنهى وتغضب لأتفه الاسباب وعندما تأتي زوجات السلطان للسلام عليها لا تقف لهن على اعتبار أنها حرة وهن من السرارى.

كانت زوجات السلطان يقدرن حالتها النفسية وكن يعاملنها معاملة حسنة اكراماً لزوجها السلطان .

****

تعـود السلطـان منذ زمن بعيـد على الجلوس بـالمنظرة بعـد صلاة العصر كل يوم .

تقع المنظرة بحديقة قصر المتوني على شاطئ البحر وخلفها تكون الخمائل النضرة، ويشمخ بجانبها قصر المتوني .

دخل الخادم سعيد النوبي وقال مستأذناً عظمة السلطان .

– سيدي السلطان المعظـم .. ان رجلاً غـريباً جـاء من عمـان للتسليم على عظمتكم .

التفـت السلطان إليه بلحيتـه البيـضاء ووجهـه الذي يطفح بشراً وسروراً .

– دعه يدخل .

فرح السلطان لهـذه الزيارة وخاصة أنها لرجل غـريب جاء من عـمان ولا بد أن لديه الكثيـر من الاخبـار عن الوطن الأم التي تاق الفـؤاد لرؤيتـهـا وخـاصـة أن السلطـان لم يزرها منذ سنوات عدة .

– السلام عليكم يا مولاي السلطان المعظم .

– وعليك السلام ورحمة من الله وبركاته .. تفضل يا رجل.

– دام فـضـل مـولاي السلـطان .. سلطان عـمـان وزنجـبـار والبنادر.

– من أين أقبلت يا رجل ؟

– أتيت من بلادكم عـمان العامـرة بالعدل تحت ظل قـيادتكم المظفرة .

– ما اسمك يا رجل ؟

– اسمي ناصر بن خلفان الشكيلي .
– ونعم ... من أي مكان من عمان يا ناصر ؟
– من الرستاق أيها السيد المعظم .
– وكيف الرستاق ؟
– في خير حال تحت ظل عدلكم ... أفلاجها خصبة وموسم الحصاد وفير هذا العام.

سرح السلطان بفكره نحو أيام مضت قضاها في الحروب ليثبت بها أركان سلطنته فكم خسر من الرجال والاموال في حروبه بالرستاق وأوديتها، كم تحمل الصعاب وهو لم يزل صغير السن .

– هل تسمعني يامولاي ؟
– نعم ... ماذا تقول ؟
– هل تسمعني يامولاي ؟
– نعم ... إن وادي الرستاق من أخصب أودية عمان وتنبع من مجراه الكثير من الافلاج وتقع على ضفافه الكثير من القرى ويكفي الرستاق فخراً، أيها الرجل انه يرقد بتربتها جدي العظيم إمام المسلمين أحمد بن سعيد .
– الفاتحة على روحه يا سيدي .

صمت السلطان وأسبل عيونه وأخذ يتمتم بالفاتحة ترحماً على روح جده .

دخل الخادم جوهر – وهو من عبيد السلطان – مهرولاً ودخل على السلطان دون استئذان وعلامات القلق تملأ وجهه .

- سيدي ومولاي السلطان ... سيدي ماجد عادت إليه حالته وهو في حالة خطرة .

- لا حول ولا قوة إلا بالله ... التفت السلطان إلى ناصر الشكيلي وقال مستأذناً :

- ارجو المعذرة أيها الرجل سأذهب بعض الوقت إلى بيت الساحل وأنت ضيفي على مائدة العشاء .

انصرف السلطان دون أن ينتظر جواباً من الرجل ... خوفه على ولده السيد ماجد لم يترك له مجالاً لانتظار رد الرجل .

كان السيد ماجد يعاني من داء الصرع وكانت نوبات الصرع تعاوده بين فترة وأخرى .

كان يقيم في القصر السلطاني « بيت الساحل » بينما السلطان يكثر الاقامة بالقصر السلطاني « بيت المتوني » .

هذا اليوم كان السلطان يجلس بالمنظرة السلطانية يتحدث مع ضيفه ناصر الشكيلي فجاءه خادمه جوهر يخبره بصرع ابنه. عندما وصل السلطان إلى بيت الساحل سأل عن السيد ماجد فأخبر بأن نوبة الصرع قد جاءته وهو يستحم بالحمام التركي بجناح الحمامات .

ذهب السلطان مهرولاً فوجد ابنته خديجة شقيقة السيد ماجد وهي تبكي على حال أخيها بينما العبيد يحومون من حولها لا يدرون ماذا يفعلون .

كان الخادم سرور وهو العبد المقرب من السيد ماجد يضع

شرائح البصل على انف السيد المصروع في محاولة لاستعادة وعيه .

نادى السلطان على العبيد بحمله إلى غرفة « الكن » بالقصر والاستمرار في وضع البصل على انفه .

جلس السلطان القرفصاء بجانب ولده وهو يرثى لحاله ولما يعانيه من نوبة الصرع .

رفع السيد ماجد يده وابعد شرائح البصل عن انفه والعرق يتصبب من جبينه .

– أبي ... هذا أنت ؟

– نعم يا ولدي .

– أنا خجل منك يا أبي .

– لا بأس عليك .. الحمد لله أنك قمت بالسلامة .

نظر السيد ماجد إلى العبيد الذين يحملقون في وجهه وصرخ فيهم :

– هيا اذهبوا من هنا .

تفرق العبيد كل في حال سبيله، ولم يكن بالقصور السلطانية من حديث في ذلك اليوم الا عن حالة صرع السيد ماجد .

****

تنتشر في زنجبار اسواق النخاسة وبيع العبيد الأفارقة، فتجدهم يعملون في القصور والمزارع والميناء الكبير بزنجبار وغيرها من مرافق العمل الاخرى .

وظاهرة الرقيق في زنجبار ظاهرة طبيعية لا يستنكرها السكان باستثناء القنصل الانجليزي الذي كثيراً ما يثير ذلك مع السلطان سعيد .

ذات مرة طلب القنصل الانجليزي مقابلة خاصة مع السلطان سعيد فوافق السلطان على تلك المقابلة ولم يحضر الجلسة مع السلطان سوى السيد ماجد والسيد برغش .

السلطان : خيراً أيها القنصل .. طلبتنا في مقابلة خاصة .

— نعم ياسيدي ... أنت تعرف أن الامة الانجليزية لها حضارة عريقة، وجلالة الملكة فكتوريا — حفظها الله وحفظكم — تود نشر شعاع هذه الحضارة على مختلف بقاع الارض .

السلطان : وما المطلوب من حكومتنا في هذا الخصوص ؟

— تعرف يا سيدي أن تجارة الرقيق تنتشر في بلادكم سواء في افريقيا أو في عمان وفي البنادر من بر فارس، وما لهذه الظاهرة اللا انسانية من ظلم وذل لبني البشر فنرجو أن تضع يدك في أيدينا ونتعاون معاً في القضاء على هذه الظاهرة .

السلطان : تعلم أيها القنصل أن ديننا أباح شراء وبيع الرقيق وقد وضع له معايير وضوابط تحكمه وبالتالي لا نجد ما يدفعنا

إلى منعه، أما عن الجانب اللا إنساني الذي ذكرته فأنت تعلم أن المسلم لا يفرق بين الحر والعبد من الناحية الانسانية، فالعبد له احترامه ويعيش مع سيده كواحد من ابنائه وهم يتزوجون ويعيشون معنا كاخوة والواقع الذي تشاهدونه هنا في زنجبار خير دليل على ذلك .

– نعم يا سيدي ولكن لا تنسى أن فقد الحرية في حد ذاتها أكبر دليل على انتهاك آدمية البشر .

– السلطان : يبدو أنك نسيت أيها القنصل ماذا حدث عام ١٨٢٣م .

القنصل : عفواً .. ماذ يقصد سيدي ؟

السلطان : في هذه السنة وقعنا مع حكومتكم اتفاقية منع شراء وبيع الرقيق للرعايا البريطانيين وشملت جميع الرعايا الانجليز من البريطانيين والبانيان الهنود الذين يعملون بالتجارة في زنجبار وتبين لنا أن أسوأ معاملة عومل بها الرقيق كانت من قبل هؤلاء، ونتج عن اعطائهم الحرية حسب الاتفاق أنهم ماتو جوعاً في الطرقات ولم يتقدم الانجليز بأية مبادرة لهم، ولولا تعطفنا عليهم وتقديم يد العون لهم لكانت أكبر عار في تاريخ زنجبار، فكيف تطلب مني الان أن نعمم ذلك على جميع رعايانا .

دار حوار طويل بين السلطان والقنصل الانجليزي حول هذا الموضوع انتهى برفض السلطان لكل الافكار والتصورات التي قدمها القنصل للقضاء على الرقيق في دولة السلطان مما

دفع القنصل إلى الاستئذان والخروج من البرزه .
برغش : لم أجد أوقح من هذا القنصل .
ماجد : عرض الرجل فكرته ورفضها سيدي السلطان فما الخطأ في ذلك ؟
برغش : هؤلاء يطعمون الكلاب ولا يعطون فقيراً حاجة .
ماجد : أراك متحاملاً ضده .
برغش : كأني أراك تميل إليه وإلى افكاره .
ماجد : لا أميل إليه ولا إلى افكاره كما تظن ولكن حري بنا أن نجامله ونقدم له بعض المبادرات التي تقرب وجهات النظر، ولا تنس أن بلادنا لها مصالح مع حكومة جلالة الملكة .
برغش : وأي مصالح تعود علينا من ورائهم ؟
ماجد : هل نسيت حماية اسطولنا في اعالي البحار .
برغش : إن موضوع حماية الاسطول العماني ما هو إلا جزءاً من مصالحهم الخاصة في موضوع توازن القوى بينهم وبين الامة الفرنسية الذين يودون الدخول في هذا الجانب بشروط أفضل من شروطهم بكثير .
ماجد : إن اعجابك بالامة الفرنسية لا يخفى على أحد وسهراتك مع القنصل الفرنسي أصبحت حديث الناس في زنجبار .

كان جلالة السلطان صامتاً يستمع إلى المشاحنة بين أبنائه إلا أنه أخيراً صاح فيهم : مهلاً .. مهلاً يا أبناء السلطان، انكم تختلفون في حضرتي فكيف بكم بعد مماتي .. لا تنسوا

ياأبنائي أن كل الامم سواء كانت انجليزية أو فرنسية أو امريكية أو غيرها انها تنظر لمصالحها بالدرجة الاولى معنا ومع غيرنا .

كان لبريطانيا النفوذ الاكبر في المنطقة لذلك تحاول أن تبعد كل الدول المنافسة لها من توطيد علاقتها مع الحكام المحليين بمنطقة الخليج .

****

كان هذا اليوم الجمعة وهو عطلة نهاية الاسبوع، وكان السيد ثويني نجل السلطان والحاكم العام بعمان يجلس مع أحد جلسائه بشرفة القصر بمسقط .

التفت السيد ثويني إلى جليسه فقال :

– علمت أنك عدت من نزوى مؤخراً .

– نعم أيها السيد وهي في أتم نعمة تحت ظل مولانا السلطان سعيد .

– وكيف موسم القيظ بهذا العام ؟

– الحمد لله يا سيدي ... خرجت من هناك وقد بدأت تباشير القيض من النغال، وهذا الموسم يبشر بموسم حصاد ناجح .

– الحمد لله .. إن أبي دائماً يسألني عن موسم القيظ وعلى حاله في كثير من مكاتباته لعمان فالحمد لله على هذه النعمة والثروة من النخيل التي تحوزها عمان .. فيكفي أنها تدر مئات

الالاف من الريالات على خزينة الدولة ..

ضحك الرجل ونظر ملياً إلى السيد ثويني وقال :

– إذا كنت تقول ذلك عن عمان فماذا تقول ياسيدي عن زنجبار ؟

– مع الأسف لم أر زنجبار في حياتي إلا أنني سمعت عنها الكثير وخاصة أن أبي السلطان يبدي لها جل اهتمامه .

– زنجبار أيها السيد جنة الله في ارضه ولو لم يكن بزنجبار سوى شجر القرنفل لكفى ، وما تدره زنجبار وملحقاتها بالبر الافريقي من دخل على خزينة الدولة اضعاف أضعاف ما تدره عمان عليها .

– لا تنس أن عمان هي الاصل وما زنجبار والبنادر إلا توابع لعمان .. ولا تنس أن ابي يهمه في المقام الأول استقرار عمان وأمنها .

– نعم ليس في ذلك من شك، ولكن اسمح لي يا سيدي أن أقول لك ناصحاً إن اخوتك في زنجبار احسن حالاً منك وأكثر ثراء، فهم يملكون المزارع والعقارات التي تدر عليهم الاف الريالات في العام، أما أنت يا سيدي فموظف في دولة السلطان تتحمل العبء الاكبر من الجهد وذلك بالحفاظ على الامن والنظام والفصل بين القبائل المتناحرة في عمان .

– أعوذ بالله منك، من سلطك علي هذا اليوم لتوغر صدري ضد ابي واخوتي ؟

– أبداً يا سيدي ما قلت ذلك إلا محباً لك وناصحاً اياك ولا

تنسى أنك الوريث الشرعي لهذه الدولة العظيمة .
– تباً لك .. نسأل الله أن يمد في عمر مولانا السلطان سعيد .
– جميعاً ندعوا بذلك ولكن ليس مفر من ذلك وعليك أن تضع في حسابك كل الاحتمالات وخاصة أن دولتكم دولة كبيرة مترامية الأطراف وموزعة في عمان وافريقيا والبنادر وبالتالي عليك أن تتصور كل الاحتمالات بعد رحيل والدك .
– أنت تعرف أنني الوريث الشرعي من بعد أبي وحكومة جلالة الملكة ستقف معي بكل تأكيد وستسعى إلى استتباب الامن في دولة السلطان بكل جهدها لانه يهمها ذلك بحكم مصالحها في منطقة الخليج .
– لا ياسيدي لست معك في هذه النظرة، فأنت تعرف أن سياسة الانجليز سياسة متقلبة تحكمها مصالحهم الخاصة وبالتالي لا تضمن وقوفهم معك بحكم أنك الوريث الشرعي للحكم .

بعد منتصف الليل خرج الرجل قاصداً بيته في مدينة مسقط بينما بقي السيد في مكانه تنتابه الوساوس مما سمعه من الرجل .
– اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يبدو أن هذا الرجل يريد الايقاع بيني وبين اخوتي ومن يدري فقد يكون منتدباً من قبل اعداء السلطان والدولة ممن يهمهم ضعف هذه الدول العظيمة التي بناها السلطان سعيد بن سلطان .

قرأ السيد المعوذتين وذهب للنوم لان بالغد عليه ان يبرز بالبرزه لقضاء مصالح الناس بمسقط .

****

في زنجبار تعددت قصور السلطان وتعددت زوجاته وبالتالي تعدد أولاده .

وكان السلطان حريصاً على تزويج ابنائه منذ السنوات الاولى لبلوغهم وذلك بحكم الدافع الديني ولرغبته الشديده في الذرية وكان لديه شعور بأن تركته التي سيتركها خلفه بحاجة إلى عدد كبير من الورثة لرعايتها .

ونتيجة لهذه السياسة كان للسلطان عدد كبير من الابناء والاحفاد وقد تجاوزوا المئة .

لذلك زوج السلطان ابنه السيد ماجد من احدى قريباته بعمان تدعى عائشة ونقلت إلى زوجها ببيت الساحل .

تعودت الزوجة الجديدة على بساطة الحياة في عمان وعندما جاءت إلى زنجبار فوجئت بحياة القصور والخدم وبالتالي لم تكن مهيأة لهذه العيشة كذلك عاشت منزوية في حياتها لا تبدي رأياً في أمور القصر وتصريف شؤون الحياة به، لذلك سنحت الفرصة للسيدة خولة شقيقة السيد ماجد أن تكون السيدة الأولى بالقصر .

كان السيد ماجد يهيم حباً بزوجته الجديدة ويرى أنها السيدة الأولى بالقصر مما دفع خولة إلى الغيرة منها وبالتالي أخذت تدس لها المكائد لتصرف قلب ماجد عنها وبعد محاولات عدة نجحت في ذلك مما أدى إلى طلاق عائشة وقد غضب السلطان عندما علم بالخبر .

– لم أكن أعرف أن عقلك لا ينظر إلى أبعد من ذلك .

– أرجو المعذرة يا أبي .
– اعـذرك على مـاذا ؟ .. على أنك تـسـتـمع لكلام النسـوان وتطلق زوجتك .
في هذا الموقف أحس ماجـد بأنه ارتكـب جرماً عظيـماً في حق زوجته، فكيف أنها تغربت عن اهلهـا بعمان مقابل الزواج من ابن السلطان الا ان حظهـا النحس أوقعـها مع من لا يـقدر الزوجية قدرها .
نظر إلى ابيه فرآه محمر الوجه منتفخ الاوداج .
– تبـاً لك .. كم أود أن أراك في مصـاف الرجـال ولكن مع الاسف .
– ارجـوك يا أبي .. أرجوك يكفي تأنيباً، وإذا كـانت عائشـة امرأة واحدة فيمكنني أن أتزوج أكثر من امرأة سواها .
– العـبرة لـيست بعـدد النسـاء .. العـبرة في شـخـصك أنت، كيف تحـافظ على زوجاتك وكيف تحرص على إكـثار النسل بهذه البـلاد السعـيدة .. إنك يا ماجـد لا تنظر الى البعـيد وإنما تنظر إلى تحت قدمك فقط .
ايهـا الاب العظيم مـا احـرصك على النـسل بالرغم من ان ذريتك لا يعرفون بعضهم .. انني ياأبي لااعرف اسماء اخوتي ولا امهـاتهم لكثرتهم، فكـيف تغضب كل هذا الغـضب لمجرد طلاق اسرأة من قبل أحد ابنائك .

****

بالرغم من أن ايام زنجبار كلها فرح وسرور الا انها تبدو هذا اليوم وكأنها لم تفرح من قبل، إنها تحتفل بعيد الأضحى .. وهاهم الناس قد عادوا من صلاة العيد بالمصلى الكبير .. وهاهو السلطان يتقدمهم عائداً إلى قصره بيت الساحل لإقامة مأدبة غداء عظيمة .

الناس في حديقة القصر نظموا انفسهم في جماعات مختلفة يرقصون ويغنون كل بطريقته الخاصة .

بعضهم من عمان يرزحون الرزحة وبعضهم من حضرموت والبعض من بنادر الصومال .

توقف السلطان أمام احدى الفرق يستمع لغنائها الذي لم يكن واضحاً لاختلاط اصوات الرجال مع قرع الطبول، إلا أن السلطان استمع إلى نبرة حزن في الغناء بالرغم من أن اليوم يوم عيد، وزنجبار عن اخرها ترقص وتغني .

التفت السلطان إلى احد حاشيته وقال :

– أتسمع ؟

– نعم ياسيدي .

– ماذ يقولون ؟!

– يقولون :

مشيت السواحل يبت لي صيم
وصيم السواحل متى يبرأ
يومن نصحتك صرت لي خصيم
تحسب يجمع المال باليبرأ

– هل يقال مثل هذا القول في بلدي .. وفي زنجبار ! ! ! .
– عفواً سيدي لا تنظر للمعنى بهذه الصورة ، وأنت تعرف أيها السلطان المعظم أن كثيراً من سكان زنجبار من المهاجرين ممن أتوا لطلب الرزق ولعل احدهم قد قال هذا .
– لا بأس .. احضروا لي عقيد الفرقة .

اتجه احد افراد الحرس إلى الفرقة وسأل عن عقيدها فأشار الراقصون اليه .

– أنت عقيد الفرقة ؟
– نعم .
– هيا لتقابل السلطان .
– ماذا تقول ؟

قلت هيا لتقابل السلطان .

– سمعاً وطاعة لأمر السلطان .

ذهب الرجل والوساوس تخالج نفسه ، ماذا يريد السلطان منّي ؟ هل ارتكبت ما يوجب عقابي ؟ هل فعلت ما يوجب ثوابي ؟ .. لأول مرة سأقابل السلطان .. هذا حلم يتمناه الجميع .. أي شرف سأناله بمصافحة سلطاننا المعظم .. لا بأس لأذهب اليه واعرف ماذا يريد مني .

– هذا هو عقيد الفرقة يا سيدي .

نظر السلطان ملياً في الرجل متفرساً في تقاسيم وجهه ثم قال : أنت من الباطنة بعمان أيها الرجل ؟

– نعم يا سيدي أدامك الله .

– ماذا كنتم تقولون في غنائكم ؟
– كنا نقول :

مشيت السواحل يبت لي صيم
وصيم السواحل متى يبرأ
يومن نصحتك صرت لي خصيم
تحسب يجمع المال باليبرأ

– وهل هذا كلام يقال في يوم فرح وسرور ؟ ألا تحسنون اختيار الاشعار ؟ ! !
– عفوك سيدي .. لا تنس أننا مغتربون عن ديارنا وعن أهلنا .
– وهل أصابك صيم من زنجبار ؟
تبسم الرجل وقال :
– سيدي هذا المقصب ليس من نظمي .
– من نظم من اذن ؟
– من نظم صاحبي علي بن مبارك
– احضر لي علياً هذا .
– غير موجود هنا في الوقت الحالي .
– أين هو ؟
– ذهب لزيارة بعض اصدقائه في مقاطعة كيزيمباني .
– ابعث له من يطلبه للمثول لدي .

نظر الرجل إلى وجه السلطان ليعرف مقصده من طلب صاحبه فوجد وجه السلطان باهتاً لا ينبئ بشئ، فمن يدري ما قصده من ذلك ، ان السلاطين لا يظهرون ما يبطنون إلا في

حينه فعسى أن تكون عاقبة علي بن مبارك خيراً عند هذا السلطان الكريم .

اشار السلطان بيده للرجل بالانصراف فعاد إلى أصحابه واستأذن بالذهاب لقضاء أمر السلطان .

****

ماذا سيفعل السلطان بي .. ماذا فعلت حتى يطلب السلطان مقابلتي ؟ .. ماذا يريد مني ؟ هذا المقصب ليس فيه ما يمس السلطان من بعيد أو قريب .. قد يكون السلطان فهم من المقصب غير ما أرمي إليه .. لا .. لا أظن ذلك فالمعنى واضح كل الوضوح وليس به أي ابهام أو غموض .. قد يكون أوشي بي عند السلطان ، ومن أنا حتى تدس حولي الدسائس .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

– ما هذا القول يا علي ؟ .. وما هذه الوساوس ؟

ان السلطان لا يريد منك سوى معرفة سبب نظم هذا المقصب .. وما عليك الان سوى الدخول مع المهنئين بالغيد وعندما تسلم على السلطان اخبره بأنك صاحب مقصب صيم السواحل وستعرف ماذا يريد منك عظمة السلطان ؟

كان المهنئون يدخلون على السلطان في طابور طويل فاندس علي بن مبارك في وسطهم وتقدم مع الطابور للتسليم على عظمة السلطان .

– نعمت بالعيد يا سيدي .. انا علي بن مبارك صاحب مقصب صيم السواحل .

– هو أنت ؟

– نعم يا سيدي .

– اجلس بقربي هنا .

اشار السلطان إلى يمينه فوقف الرجل بجانب السلطان ينتظر انتهاء الناس من التسليم على السلطان .

جلس الناس على السجاد والطنافس الثمينة بعد ان سبقهم السلطان بالجلوس ، وجلس علي بن مبارك حيث أمره السلطان .

التفت السلطان إلى الرجل وقال :

– من الباطنة يا علي اليس كذلك ؟

– نعم أدامك الله .

– من أي مكان بالباطنة ؟

– من بلادكم صحم التي تنعم بالخير تحت ظلكم يا مولاي .

– أنت القائل :

مشيت السواحل يبت لي صيم
وصيم السواحل متى يبرأ
يومن نصحتك صرت لي خصيم
تحسب يجمع المال بالبيرأ

– نعم يا مولاي .

– كيف يقال ذلك في عهد سعيد بن سلطان ، وفي زنجبار

أيضاً ! ! ! .

– عفوك يا سيدي .. لم أذهب إلى ما ذهبت إليه .

– لو ذكر التاريخ هذا القول فإنه لن يرضيني ذلك .

– برأك الله من كل عيب يا مولاي .. إلا انني عبرت عن حالي لا غير .

– وكيف حالك ؟

– حالي يا سيدي تركت أهلي في صحم لضيق العيش فقلت أذهب إلى السواحل فعسى أن تكون وسائل الكسب ميسورة هنا وقد نصحتني زوجتي بعدم الهجرة والاستمرار بالعمل بيداراً في مزارع النخيل إلا أنني لم أوافقها طلباً للمال الوفير ، إلا أنني لم أوفق بالعمل المناسب لكثرة الرعايا من كل الدنيا في زنجبار وبالتالي أصبحت الايدي العاملة كثيرة وميسورة بأرخص الاسعار .

– هذه نعمة من الله .

– نعم يا سيدي .. الا أنها ليست في صالحي .

– فسوت لك صيم ! ! !

ضحك من كان في البرزة بينما لزم علي بن مبارك الصمت .

التفت السلطان اليه :

– اسمع يا علي سنعطيك ما حضرت من اجله وعد إلي اهلك في عمان سالماً غانماً .. واعلم اننا نعتبر شجرة النخيل في عمان كشجرة القرنفل في زنجبار .. فعد اليها واعمل بيداراً

وسيوفقك الله لما يحبه ويرضاه .

لم يصدق الرجل مـا سمع .. طار من الفرح ، اخذ يجـهز حاله للرحيل .. للعودة إلى بلده وأهله ونخيله .

****

- ٣ -

جلس السيد ثويني بالبرزة بالقصر بمدينة مسقط وحضر الجلسة لهذا اليوم بعض اقاربه وكبار رجال الدولة بالاضافة للقائم بأعمال الحكومة الانجليزية بمسقط .

خصصت جلسة اليوم تلبية لطلب أحد المواطنين يدعى سعيد بن خلفان ، أشار السيد ثويني بيده لسعيد :

– تفضل يا سعيد اطرح الموضوع الذى طلبتنا من اجله .

– الموضوع أيها السيد .. انكم تعلمون انني في مسقط ارعى المصالح الفرنسية عامة وقد تقدمت منذ فترة إلى الحكومة الفرنسية لأكون القنصل العام لفرنسا بعمان وقد وافقت الحكومة الفرنسية على ذلك ، والمندوب الفرنسي الذي زار مسقط مؤخراً اعطانى العلم الفرنسي لارفعه على بيتي ليكون القنصلية الفرنسية بمسقط الا أنه إلى اليوم لم ترد حكومة والدكم السلطان سعيد على طلبي بالرغم من انني تقدمت بالطلب منذ مدة طويلة ، نظر السيد ثويني إلى وجوه الحاضرين فوجدها مصوبة نحوه ينتظرون جوابه ، نظر إلى سعيد بن خلفان وقال :

– تعلم يا سعيد أن لحكومة فرنسا قنصلية عامة في عمان مقرها بزنجبار فكيف تكون هناك قنصليتان لدولة واحدة في دولة أخرى ؟

– عفواً أيها السيد أنت تعلم أن دولة والدكم السلطان سعيد

إبن سلطان – اعزه الله – مترامية الاطراف ومن الصعب أن تقوم قنصلية زنجبار برعاية المصالح الفرنسية في عمان وفي البنادر الشمالية .. لذلك يتطلب انشاء قنصلية أخرى في الشمال بعمان .

– لا بأس .. عندما يحضر والدنا السلطان إلى عمان سنطرح عليه الموضوع وعسى أن يكون الامر خيراً إن شاء الله ، وسنخبرك بما يصدره من رأى حول هذا الموضوع .

لم يجد سعيد بن خلفان بداً من انتظار حضور السلطان سعيد بن سلطان لينال الظفر في مطلبه الذي يؤمله منذ سنوات طويلة .

سعيد بن خلفان هذا أحد رجال دولة السيد سعيد بن سلطان إلا أنه من المعجبين بالامة الفرنسية واخبار انتصار جيوشها فترك عمله في حكومة مسقط وكرس جهده لرعاية المصالح الفرنسية وقد حاول مراراً ليكون قنصلاً لفرنسا بعمان فحصل على موافقة الحكومة الفرنسية الا أن حكومة مسقط لم تلب طلبه إلى اليوم .

****

هذا اليوم تحتفل اسرة السلطان بقدوم مولود جديد ، تجمع ابناء السلطان وبناته واحفاده في جناح والدة الطفل الجديد ، بينما العبيد يطوفون بصواني الحلاوة الفرنسية الفاخرة على

الكبار والصغار .
خولة : ماذا ستسمي المولود الجديد يا أبي ؟
السلطان : ماذ تقترحون انتم ؟
برغش : سمه اسماً سواحلياً ليكون مرتبطاً بالمكان .
السلطان : لا .. انوي تسميته اسماً عربياً .
ماجد : ماذ تقترح اذن ؟
السلطان : سأسميه عبد العزيز .. ما رأيكم ؟
عائشة : اسم جميل يا أبي .

نظر اليسد برغش إلى وجوه اخوته ليستطلع موقفهم من رفض السلطان لوجهة نظره فوجد وجوهم لا تنم عن شئ سوى أن الفرح هو سيد الموقف .

ماجد : اخرجوا عبد العزيز من قماطه دعونا نراه .

قامت احدى الخادمات واحضرت المولود من مهده وسلمته ليد السلطان ، فك السلطان الرباط من حول الوليد ومسح على رأسه وقال :

- ليبارككك الله يا ولدي وليجعلك مع اخوتك مناضلاً أميناً في رفعة هذا الوطن العظيم .

رد جميع الحضور : أمين .
خليفه : يشبه من هذا المولود ؟
برغش : إنه يشبه جمشيد كثيراً .
خوله : لا انه لا يشبهه فجمشيد له شعر اشقر وعينان خضروان فهو لا يشبهه .

السلطان : لا تختلفوا يا أبنائي فهو يشبهني انا ما رأيكم ؟
الجميع : هو كذلك يا أبي .

جاء الخادم جوهر مسرعاً :

– سيدي السلطان .. المعلم سليمان بالباب جاء للمشاركة في الاحتفال بمولد السيد الجديد .

تبسم السلطان وقال : لا بأس دعه يدخل .

دخل المعلم سليمان بلحيته البيضاء وهيئته الفاخرة .

سليمان : السلام على مولاي السلطان وآله .
الجميع : وعليك السلام ورحمة الله .
السلطان : تفضل يا معلم . . اهلاً بك .
سليمان : أتيت يا سيدي مهنئاً ومباركاً بالمولود الجديد .
السلطان : شكراً يا معلم.

نظر المعلم إلى وجوه ابناء وبنات السلطان وإلى القاعة وما حوته من اثاث ولم يترك شيئاً إلا تفحصه بنظره ، وران السكون على القاعة فكأنها خالية من السكان وكل ينظر إلى الاخر حتى قطع المعلم ذلك الصمت بقوله :

– سيدي ومولاي السلطان أتأذن لي بقراءة طالع هذا الولد السعيد .. فإن حدسي لا يخيب ابداً .

السلطان مبتسماً : أراك لن تكف يا معلم عن طبعك ودجلك.
المعلم : عفواً سيدي .. انه ليس دجلاً وانما هو علم تعلمته .
السلطان : لا بأس خذ الوليد واخبرنا ماذا ترى في كفه .

قام المعلم وأخذ الولد ووضعه في حجره وقلب كفه ذات

اليمين وذات الشمال وقطب وجهه وبدت عليه علامات الخوف والقلق ولزم الصمت .

السلطان : تكلم أيها المعلم لماذا لا تتكلم ؟

المعلم : عفواً سيدي اطلب الامان لأتكلم .

ضحك السلطان ساخراً منه وقال : لك الامان تكلم ولا تخشى شيئاً .

المعلم : هذا الولد يا مولاي سيكون شقياً في حياته.

سكت المعلم – انتظاراً – لما سيقوله السلطان، الا ان السلطان لزم الصمت مترقباً استرسال المعلم في الحديث ، وعندما وجد المعلم رغبة السلطان في اكمال الحديث اردف قائلاً :

– هذا الولد يا مولاي سيسبب المشاكل لاخوته منذ طفولته وسيعيش مشرداً في بلاد الهند وسيسبب المشاكل لسلطان زنجبار وسلطان عمان، وسيجمع العرب في جبال عمان لمحاربة سلطانها .

السلطان مبدياً بعض الاهتمام : ماذ قلت سلطان في زنجبار واخر في عمان ؟ ! ! !

المعلم : عفوك سيدي .. . انني أقول ما أراه في كف هذا الغلام .

السلطان مغضباً : كفى .. كفى من هذا الهراء

في هذه الليلة لم ينم السلطان وانما بات متفكراً في قول المعلم سليمان عن سلطان زنجبار ووسلطان عمان وكأنهما

دولتان منفضلتان .

أي يوم نحس سيشهد ضياع هذا المجد العظيم .. المجد الذي اسسه اجدادنا بأرواحهم .. لا .. لا يمكن هذا .. ان ابنائي واحفادي سيحافظون على هذا المجد العظيم .. ان الرجل العظيم لا يخلف إلا ابناء عظماء .. وفي ابنائي واحفادي امتداد لهذه الزعامة المباركة .

منذ متى يا سعيد تهتم بأقوال الدجالين والمنجمين ؟ .. هل يستطيع ولدي ثويني أن يرث الحكم من بعدي ويصبح سلطاناً على عمان وافريقيا والبنادر الشمالية ؟ .. هل سيختلف ابنائي من بعدي .. هل سيتدخل المستعمرون في تقسيم تركتي .. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ما هذه الوساوس .

****

المظاهرات هذا الصباح تملأ شوارع مدينة زنجبار .. كل الحشود تتجه إلى منزل أحد التجار الفرنسيين .. الكل يطالب بقتله انتقاماً منه جزاء فعلته الشنيعة .

سرت اشاعة هذا اليوم أن هذا التاجر الفرنسي القى بأحد العمال الافارقة من على سفينته مما ادى إلى غرقه بالبحر .

كانت الجماهير تحمل الرماح والسكاكين والعصى للهجوم على بيت الرجل الفرنسي إلا أن رجال الحرس أحالوا دون دخولهم إلى المنزل .

تدخل ابناء السلطان لتهدئة الموقف

- نرجو التزام الهدوء ودعونا نبحث حقيقة الحادث .

رد أحد الجماهير :

- اي حادثة سنبحث عنها وجميع عمال السفينة شهدوا الموقف .

كان الموقف عصيباً واعداد الجماهير في ازدياد وصراخهم يسمع من على بعد .

فجأة خرج من بين الجماهير رجل أخذ يصرخ بأعلى صوته :

- توقفوا .. الرجل لم يمت وسيحضر بعد قليل بنفسه .

هدأت الجماهير وأخذ كل منهم ينظر إلى الاخر .

تمتم السيد ماجد : الحمد لله .

برغش : لقد ظلموا الرجل .

ماجد : لم يظلم دعنا نتبين الحقيقة أولاً .

ظهر من بين الحشود رجل اسود طويل القامة واقترب من السادة ابناء السلطان .

- ايها السادة اطلبوا من هؤلاء الناس العودة إلى اعمالهم .. صاحب السفينة ليس له دخل فيما حدث ، لقد تشاجرت مع احد رفاقي من عمال السفينة بسبب حبنا المشترك لفتاة تعمل في قصر مولانا السلطان وكل منا ينوي خطبتها فتشاجرنا معاً مما ادى إلى سقوطي في البحر فسبحت إلى الشاطئ وذهبت إلى بيتي فأنتشرت الاشاعة بأنني غرقت مما أدى إلى هيجان

الجمهور والذي أشاع الخبر هو غريمي وشريكي في حب تلك الفتاة ظناً منه أنني غرقت .

ماجد : الحمد لله على كل حال .

نادى السيد ماجد على الناس بالعودة إلى اعمالهم بعد أن عرفوا الحقيقة .

في برزة السلطان تمت مناقشة الحادثة .

برغش : يجب تقديم الاعتذار للرجل كرد اعتبار له نتيجة للهلع الذي اصابه من تلك الحشود .

ماجد : كيف نعتذر له وما حدث كان على سفينته وبالاحرى أن يراقب عماله ... ألا يكفي أنه سبب الفوضى في المدينة وعطل سير العمل بها .

برغش : وهل تحمله وزر عمل هؤلاء الغوغاء .

ماجد : لست ادري لماذا أراك متحاملاً لصالح الفرنسيين في كل شئ .

برغش : ولست ادري لماذ تقف هذا الموقف المتشدد .

السلطان : لا حول ولا قوة إلا بالله عدتم لحالتكم القديمة .. دعوا هذا الأمر لي فسأحله بطريقتي الخاصة .

****

كان السلطان يتمشى في حديقة قصره بصحبة وزيره احمد بن النعمان معبراً له عن بعض ما يساوره من افكار فقد

تعود أن يناقش معه الكثير من القضايا .
- ماذا ترى يا أحمد من حال ابنائي في هذه الدولة .
- ارى أنهم جميعاً يخلصون العمل من اجل عزتها، ويكفى أن السيد ثويني في مسقط يحمل العبء الاكبر من اعباء الحكم هناك .
- نعم هذا صحيح لكن الاحظ أن لاتساع رقعة بلادنا فإن ابنائي يختلفون في افكارهم وثقافتهم واختلاف نظرتهم من القضايا فيكفي أن ماجداً وبرغشاً يختلفان كل يوم في كثير من وجهات النظر، فماجد يميل إلى الانجليز بينما يميل برغش إلى الأمة الفرنسية فهما في خلاف دائم .
- عفواً سيدي هذه أمور بسيطة ولكنهم عند الأزمات يد واحدة بإذن الله ... لكن هناك نقطة علينا الا نغفلها فكثرة مصاحبة السيد ماجد للقنصل الانجليزي ومصاحبة السيد برغش للقنصل الفرنسي لابد أن ينعكس ذلك على الاخوين.

فكل من القنصلين يحاول أن يستميل الاخر إلى صفه لمصالحه عند الحكومة وبالتالي هذه نقطة جديرة بالحل والنظر بها .
- قال لي أحد المنجمين بأنه في المستقبل سيكون هناك انفصال بين عمان وزنجبار وبالتالي لكل منهما حاكمها الخاص .
- منذ متى يا سيدي تستمع لكلام المنجمين ورجال جيشك بمقدورهم الحفاظ على وحدة هذه البلاد .

كان السيد ثويني الحاكم الفعلي لعمان والمتصرف الأوحد

بهـا في غـياب السـلطان سعيـد عنهـا، بينمـا السـيدان مـاجـد وبرغش همـا القائمـان بالاعمـال الكثيـرة في زنجبـار وافريقـيا بالنيابة عن ابيـهما ، والسـيد ماجد هو نـائب السلطان في حالة غيابه وسـفره إلى عمان وغيرها فـأصبح كل من ابناء السلطان ينظر انه الوريث الشرعي من بعد السلطان في البلاد التي يعيش عليها .

****

— ٤ —

تعيش مسقط هذه الايام افراحاً منقطعة النظير بسبب وجود السلطان بها فقد جاء من زنجبار لزيارتها والاطمئنان على سير الأمور بعمان ، كان شيوخ القبائل يتوافدون للتسليم عليه .

كانت الموائد التي تقام كل يوم تكفي لاطعام سكان مدينة مسقط بأكملها والجميع في فرح وسرور .

قضى السلطان في عمان أكثر من عامين قرر بعدها العودة إلى زنجبار وقد حضر معه في رحلته عدد من ابنائه .

في يوم الرحيل دخل السلطان على أمه العجوز الطاعنة في السن وودعها والدموع تنزل من عينيه :

— أمي العظيمة .. قد لا أراك بعد هذا اليوم فأدعي لي بالتوفيق

ضحكت العجوز وقالت :

— لا يا ولدي نحن العجائز لنا اعمار طويلة وسوف نلتقي مرة أخرى ان شاء الله .. وأسأل الله لك التوفيق والسلامة في حلك وترحالك .

— أمي .. لقد اخذت كفني معي على السفينة خوفاً أن يدركني الموت في عرض البحر ولا يجد القوم ما يكفنوني به.

— اطال الله عمرك لاهلك وبلدك .. لماذ تفكر بالموت وأنت في اتم صحة .

— استعداداً له يا أمي .

– حفظك الله يا ولدي من كل مكروه .

أمام الميناء اصطف ابناء السلطان المقيمون في مسقط ورجال الدولة بمسقط والمشايخ والمواطنون يتقدم الجميع السيد ثويني الاكبر من انجال السلطان .

بينما السلطان يسير بخطى وئيدة ينظر إلى مدينة مسقط الرابضة بين أحضان الجبال .. نظر إلى قلعة الميراني ببرجها المطل على الميناء يقف شامخاً متحدياً الزمن .

ودع السلطان جموع مودعيه وركب سفينته فيكتوريا وركب معه بعض ابنائه ورجال دولته ، بينما ركب الأخرون على السفينة الأخرى ارتميس .

أقلعت السفينتان من ميناء مسقط باتجاه زنجبار في يوم الاثنين الخامس عشر من سبتمبر عام ١٨٥٦م بالرغم من ان جميع من على السفينة كانوا في فرح وسرور وخاصة أن حالة الطقس كانت جيدة وتهب الرياح الباردة عليهم مما جعلهم في أتم حال .. الا أن السلطان ظل مكتئباً طوال ذلك اليوم .

في اليوم الثالث للرحلة قام السلطان من نومه يشكو من ألم في ساقه بموضع طلق ناري قديم أصابه أيام حروبه الأولى في عمان منذ أكثر من أربعين عاماً .

تجمع الأبناء حول أبيهم وأجريت له بعض الاسعافات الاولية الا أن الجرح أخذ يتورم .

– ابنائي أنتم ترون حالتي الصحية ولو حدث وتوفيت فعليكم أن تكونوا رجلاً واحداً ولا تضيعوا المجد الذي بنيته منذ

طفولتي وحتى شيخوختي هباء فيشمت منكم اعداؤكم .
برغش : ستعيش ان شاء الله يا أبي وستعود إلى بلدك معافى إن شاء الله .
- الاعمار بيد الله يا ولدى .

يا الهي .. كيف لي أن أموت بعيداً عن بلادي وقصوري .. على سفينة يتقاذفها الموج .. على رقعة محدودة المساحة .. أف لك ايتها الدنيا الفانية سعيد بن سلطان العظيم .. سلطان عمان وافريقيا والبنادر يموت هذه الميتة البائسة في عرض البحر .. يرمي جسده لتأكله حيتان البحر .. لطفك يا إلهي .. اللهم إجعل كل ما قدمته للمسلمين ولدولة الاسلام ذخيرة لي يوم القيامة .

نظر السلطان إلى ابنائه فوجدهم جلوساً من حوله كل منهم يجول بنظره إلى الاب الراقد على فراشه تارة وتارة إلى اخوته من حوله وفي اعينهم الف سؤال وسؤال .. هل يطمع ابنائي بالارث من بعدي .. اني خلفت لهم ما يكفيهم ويكفي ذريتهم من بعدهم .. لطفك يا الله .

في جانب منزو من السفينة جلس السيد برغش بجسمه الضخم القرفصاء مع هلال بن عبدالله ربان السفينة .
- ماذا ستفعل لو مات السلطان على ظهر السفينة ونحن في عرض البحر .
- أطال الله عمر مولانا السلطان سعيد .. تفاءل بالخير يا سيدي .

- أنا أضع الفروض ماذا سنفعل .

- من عادتنا نحن البحارة أن نحتفظ بالجثمان على السفينة لو كنا على مقربة من اليابسة .. أما إذا كنا في عرض المحيط كما هو الحال معنا الآن فإننا نكفن الجثمان ونصلي عليه ونرميه في البحر .

- يا الله .. هل يمكن أن يرمى السلطان المعظم سعيد بن سلطان في البحر بعيداً عن دولته وأهله .. ويرمى جثمانه في البحر لتأكله الحيتان ! ! !

- عفواً سيدي لم أقل ذلك .. وإنما أتحدث عن سنن أهل السفن في موتاهم .

فجأة سمع السيد برغش وربان السفينة زعقة صدرت من جانب السلطان فذهبا جرياً إليه.

أبي .. مولاي السلطان .. أخيراً رقد سعيد بن سلطان المكافح والمناضل العظيم

من أجل رفعة وطنه وشعبه رقدته الأخيرة بعد عناء طويل على وجه الأرض . . وعبر كفاح مرير من أجل الحفاظ على وحدة هذا الوطن .. وداعاً يا أبي وداعاً أيها الفارس .

انكب السيد برغش مع اخوته على جثمان ابيهم يبكون رجلاً رحل عن الدنيا .. كان بالنسبة لهم أكثر من أب .. رحمك الله يا والدنا العظيم .

- سيدي ومولاي برغش أنت أكبر اخوتك سناً على ظهر هذه السفينة وأكبرنا مقاماً فدع البكاء .. وان المصاب مصابنا

جميعاً، فماذا ترى أن نفعل فيما كنا نحاذره .

سكت السيد برغش برهة من الوقت ونظر إلى الوجوه الواجمة من حوله عله يجد جواباً مع أحدهم إلا أنهم لزموا الصمت جميعاً .. الانظار شاخصة إليه يرجون جواباً منه .

- أيها الاخوة .. أيها الرفاق إن ما حل بنا تنفطر له القلوب إلا أن الانسان يقف عاجزاً إزاء مشيئة الله .. ان مصاب السلطان هو مصابنا جميعاً، وكم كنت أتمنى الا يموت السلطان هذه الميتة البائسة بعيداً عن أهله ووطنه .. ولكنه قضاء الله وقدره ،أيها الاخوة علينا الان أن نغسله ونكفنه ونصلي عليه :

قاطعه صوت أحد البحارة قائلاً :

- وهل سنرميه في البحر ؟

- لا .

- ماذا سنفعل اذن ؟

- سنحمله إلى زنجبار.

- كيف ذلك ونحن عن زنجبار مسافة عشرة ايام أو أكثر .

- سنحمل الجثمان معنا وليفعل الله ما يشاء.

سارت السفينتان والحزن يخيم على أصحابها .. الكل يدعو الله أن يقرب ساعة الوصول بينما الجثمان يزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

****

عاد بعض الصيادين من عملهم وأشاعوا في المدينة بأنهم رأوا سفينة السلطان فكتوريا بالقرب من ساحل جزيرة شومبي شمال زنجبار وأن السلطان سيصل إلى زنجبار بعد نصف يوم من المسير .

وقد وصلت إلى زنجبار منذ فترة طويلة اخبار رحيل السلطان من عمان متوجها إلى زنجبار .

عندما سمع السيد ماجد بالخبر استعد مع اخوته ورجال الدولة في موكب عظيم وركبوا القوارب ويمموا شطر جزيرة شومبي لاستقبال السلطان .

كان الجو بارداً والسماء تمطر مطراً غزيراً وكأنها سبقت زنجبار بالبكاء على رحيل سلطانها .

اندفعت السفن والقوارب تشاركها قوارب الصيادين في موكب عظيم .

قرعت الطبول وتعالى الغناء ، أصبح الموكب كأنه موكب زفاف يقوده السيد ماجد .. لم لا وهذا الموكب سيستقبل السلطان العظيم سعيد بن سلطان ، سلطان عمان وزنجبار والبنادر عبارات الترحيب تتضح في الغناء .

أحد الرجال يسر إلى صاحبه الشاعر :

– يجب عليك أن تحضر قصيدة جميلة للترحيب بالسلطان وستنال منه الجزاء الذي تستحقه .

– لا والله ان مدحت السلطان فلا أمدحه طمعاً في عطائه

وانما أمدحه لأنه أهل للمديح .

المطر لا يزال منهمراً بغزارة الا أنه لم يمنع المستقبلين من مواصلة المسير .

زنجبار اليوم في أسعد حال لوصول سلطانها المعظم والمحبوب من شعبه ورعاياه .

أحس السيد ماجد بدوار أصابه وأخبر أحد اخوته الذين كانوا بقربه .

– لعله دوار البحر يا أخي .

سقط السيد ماجد مغشياً عليه فعرف من كانوا معه أن حالة الصرع قد عادت إليه والبرد والماء يضاعفان من حالته .

– لابد أن نعود إلى المدينة حفاظاً على صحة السيد .

– لكننا على مقربة من جزيرة شومبي .

– السلطان لن يسر باستقبالكم وابنه على هذه الحالة .

– اطلبوا من الجميع العودة إلى زنجبار فلا أحد يعرف متى سيتحرك السلطان من جزيرة شومبي .

عاد الجميع إلى المدينة والسكون يخيم عليهم فلا يسمع إلا صوت المطر وهو يضرب ماء البحر في تناغم اقرب منه إلى الحزن .

انقلب نشاطهم وفرحهم إلى كسل واكتئاب كم كان يسر الناس السير بجانب سفن السلطان والدخول إلى ميناء زنجبار في معيته .

****

في عرض البحر جلس السيد برغش مع نفسه يفكر في الحال الذي ستسير عليه الامور في التركة التي خلفها هذا السلطان العظيم .

من سيتولى الحكم بعد أبي ؟ .. أخي ثويني على اعتبار أنه الوريث الشرعي .. أم أخي ماجد على اعتبار أنه أكبر ابناء السلطان بزنجبار ... ماذا سيكون نصيبي من الحكم ؟ .. لماذا لا أوقع بينهما وأكون الحاكم من دونهما بمساعدة حلفائي الفرنسيين .. لا ذلك لن يكون . .يجب أن استولي على الحكم بالقوة واستأثر بزنجبار وافريقيا دون أخي ماجد وتكون عمان من نصيب أخي ثويني .. ذلك ليس بالامر الهين وخاصة إذا انشغلنا بدفن الجثمان فستتجه افكار الناس وانظارهم إلى السيد ماجد ، يجب أن أجد حلاً للهذه المعضلة .

دعا أحد المقربين إليه ممن كانوا على ظهر السفينة وأسر إليه بما يدور في خلده .

– ان هذا الامر خطير يا سيدي

– اعرف ذلك . . إلا أنه لابد من تحقيقه .

– اذن لابد أن تستولي على القلاع والتحصينات الحربية لتكون القوة في يدك .

– ليس هذا المهم .. المهم تأييد المشايخ وكبار القوم بزنجبار .

– المشايخ عامة سيميلون إلى القوة .

– إذن علينا ألا نشيع الخبر في المدينة ، ولابد أن ندخلها ليلاً وندفن الجثمان سراً خوفاً من اضطراب الأمن بالمدينة .

أقلعت السفن عصراً باتجاه زنجبار وقد نظم السيد برغش خطته بحيث تتولى كل مجموعة من اعوانه مهمة معينة ، بدءاً من محاصرة قصر السيد ماجد ومنع الدخول إليه والخروج منه خوفاً من وصول الاخبار إليه ، وكذلك السيطرة على القلعة وتولي أمور الجند ، ودفن جثمان السيد سعيد بمقبرة العائلة سراً .

نهضت المدينة في الصباح الباكر وشاع خبر موت السلطان ودفنه سراً ونشط أعوان السيد برغش في كل مكان وأخذوا يتصرفون وكأنهم أصحاب الامر والنهي في البلاد .

ذهب السيد ماجد مفجوعاً من الخبر الذي سمعه لمقابلة السيد برغش .

– كيف تدفن السلطان سراً دون أن تقام له مراسم التشييع ؟!!

– لو كنت تعرف الحالة التي عليها الجثمان لعذرتني .

– مهما كانت حالته فسعيد بن سلطان لا يدفن كما يدفن أي عبد من العبيد .

– أيها الاخ الكريم ان حالة الجثمان مريعة فهل تود أن يطلع الناس عليه وهو بتلك الصورة . . ان تقديري لأبي دفعني إلى الحفاظ على الجثمان وعدم رميه في البحر وبالتالي حرصت على وصول الجثمان إلى البر ليدفن سلطاننا العظيم في مكان معلوم على هذه الأرض ، فكيف تلومني على ما فعلت ؟!

دار حوار طويل بين الأخوين لاحظ من خلاله السيد ماجد تعالي السيد برغش عليه ، كذلك لاحظ ارتباكه وتوجسه مما

حوله و أحس أن برغشاً يضمر شراً .

طلب السيد ماجد مقابلة القنصل الانجليزي بزنجبار فحضر إليه .

كان القنصل حائراً في مجريات الأمور وخاصة موت السلطان المفاجئ وسير الامور على ما هي عليه بين الأخوين .

– ماذا ترى أيها القنصل ؟

– الرأي لك أيها السيد أولاً وأخيراً ، ولأنك أكبر أبناء السلطان بزنجبار وأفريقيا ولا نستطيع أن نبت أمراً دون إذن حكومة نائب الملك بالهند .

سكت السيد ماجد برهة متفكراً بالأمر ثم قال :

– لو تركنا الأمور تسير على ما هي عليه سيختلف العسكر وسيضطرب الأمن بالمدينة وقد يؤدي ذلك إلى تمرد المقاطعات بافريقيا .

– أرى ان تضع الأمور تسير على ما هي عليه واسحب البساط من تحت أخيك دون أن يشعر .

– كيف ذلك ؟

– تصرف وكأنك السلطان الحالي على زنجبار وأقم مراسم استقبال العزاء كما هو معروف عادة وانظر ما ستسفر عنه الأيام .

اقيمت مراسم استقبال المعزين في وفاة السلطان والتف كبار رجال الدولة والمشايخ حول السلطان الجديد وقدموا له فروض الطاعة والولاء فوجد السيد برغش نفسه خارج مسرح

الاحداث فتشاور مع صديقه القنصل الفرنسي .

– أرى يا سيدي أن موقفك من الصعوبة بكثير فلن يفيدك العسكر دون رجال الدولة .. كذلك البوارج الانجليزية حول زنجبار لاأحد يضمن حيادها في الصراع بينك وبين أخيك .

– لست أدري ماذا سيكون موقف السيد ماجد مني إذا تمكن من القبض على مجريات الامور بزنجبار ، ومن يدري كيف ستسير الأمور مع السيد ثويني الوريث الشرعي لحكم السلطان سعيد .

– السيد ماجد حسب ما أرى ليس بالرجل الحقود .

انضم السيد برغش إلى مجالس السيد ماجد وتصرف كأنه التابع للسلطان الجديد بعد أن صرف أصحابه واعوانه وابعدهم عما قد أضمره من قبل .

استطاع السيد ماجد تجاوز بعض العقبات واعلن نفسه سلطاناً على زنجبار وقد أيده القنصل الانجليزي وسارت الأمور على خير ما يرام.

****

- ٥ -

في مسقط كان الحزن عظيماً وأقيمت مراسم العزاء بمدينة مسقط وقد حضر زعماء القبائل وكبار رجال الدولة لتقديم التعازي ، بينما فرح اعداء السلطان بوفاته .

كان حزن السيد ثويني لا يعادله حزن ، فقد ترك له تركة يصعب حملها وخاصة أنه يرث الحكم في بلاد لم يرها من قبل ولا يدري كيف تسير الامور فيها .

كان عزاؤه أن اخوته سيقفون بجانبه لتسيير أمور الحكم في مناطق الدولة الواسعة .

بعد أشهر جاءت الاخبار إلى مسقط عن اعلان السيد ماجد نفسه سلطاناً على زنجبار وافريقيا وانفصاله عن عمان .

كثرت الاشاعات في مسقط وخاف الناس على مصالحهم وذويهم ، وأشيع في عمان بأن السلطان الجديد السيد ثويني يعتزم ارجاع زنجبار إلى حظيرة الدولة بقوة السلاح وأنه يعد العدة لذلك .

عقد السلطان ثويني بن سعيد اجتماعاً مصغراً حضره السيد حمد بن سليمان البوسعيدي قائد الاسطول البحري بعمان وسعود بن هلال حفيد السلطان الراحل .

بدأ السلطان بعرض أحوال البلاد ومستجدات الامور بها .

حمد : لا نسطيع يا سيدي أن نبت أمراً دون التشاور مع الحكومة الانجليزية بالهند .

ثويني : نتشاور معهم في اعادة الأراضي الخارجة على الدولة ؟!!
سعود : عفواً سيدي علينا أن ننسق معهم فأنت تعرف أن بيننا وبينهم الكثير من المصالح والمعاهدات مع سلطاننا السابق فعلينا أن نحافظ على هذه العلاقة .
حمد : لذلك نرى يا سيدي أن نرسل كتاباً إلى نائب جلالة الملك بالهند لنعرف جوابه حول هذا الخلاف .
سعود : كذلك أرى أن نكتب جواباً إلى السيد ماجد بزنجبار لنرى آخر آرائه ونقف على وجهة نظره فعسى أن نجد حلاً وسطاً معه .
ثويني : ليس هناك من حل وسط ، بما أنني الوريث الشرعي للعرش فإنني أطالب بإنضمام جميع الأراضي والمناطق التي كان يحكمها أبي تحت حكومتي وتحت رأيتي ومن يخالف ذلك فليستعد لحربي .

ظلت الخلافات والصراعات بين ابناء السلطان لمدة طويلة وكل منهم يدس الدسائس لأخيه والحكومة الانجليزية بالهند تقف موقف المتفرج على الصراع الدائر وتميل إلى تفكيك الدولة إلى دولتين أسيوية وافريقية .

بعد أشهر طويلة جمع السيد ثويني قواته وجهز اسطوله واستعد لمحاربة زنجبار وافريقا وضمها إلي سلطته .

عزم السلطان ثويني وعزم رجاله على تحقيق غرضهم مهما كلفهم الأمر ، وقد تقدم السلطان ثويني وبعض رجاله إلى جزيرة لاموه بساحل افريقا الشرقي شمال زنجبار وطلب من

رجاله أن يلحقوا به هناك بعد أن يكون قد جهز جيشاً مساعداً من ساحل افريقيا .

علمت الحكومة الانجليزية بالهند بخبر تحرك اسطول عمان باتجاه زنجبار فأرسلت بوارجها على وجه السرعة لتعترض الاسطول العماني في وسط المحيط وهددت بقصفه إن لم يرجع عما ينوي القيام به .

– عفواً سيدي ليس بامكاني أن أقرر أمر العودة أو الاستمرار في الابحار إلا بإذن السلطان ثويني .

– نحن سنرسل رسولاً إلى السلطان ثويني يشرح له الموقف ونعقد الصلح بين الأخوين ، أما أن نتركهم يتناحرون ويقتل العمانيون بعضهم بعضاً فإن حكومتنا لا ترضى بذلك .

كان الرجال يتمنون دخول زنجبار تحت امرة السلطان ثويني إلا أن الامر ليس في أيديهم .

****

في مجلس السلطان ثويني جلس المندوب الانجليزي يشرح للسلطان موقف حكومته من الأزمة بين الاخوين .

– سيدي .. ان حكومتنا لا يرضيها أن يتناحر أصدقاؤها وتقف موقف المتفرج.

– اذن عليكم أن تجبروا ماجداً على الرجوع عما نواه .

– عفواً سيدي لا نستطيع ذلك ولا تنسى أن هذا التقسيم ليس وليد اليوم .. فالسلطان المعظم سعيد بن سلطان – رحمه الله – كان قد قسم إمرة دولته بينك وبين أخيك ماجد فكيف لا نرضى بها نحن اليوم .

– ما هذا الكلام .. هل تسمي النيابة أثناء غياب السلطان تقسيماً للدولة ؟ ! .. لو كانت الامور تسير بهذه الصورة لفسدت الكثير من الامور .

– سيدي السلطان .. إن عظمة نائب الملك بالهند يرى أنه من صالحك هذا التقسيم فليس بالأمر الهين عليك أن تتولى الاشراف على عمان وافريقيا والبنادر ... ويرى بأن تكتفي بعمان والبنادر الشمالية وتترك لأخيك ماجد حكم البر الافريقي وزنجبار .

– انت تعلم ان هذه قسمة ظالمة فعائدات الحكومة من افريقيا أضعاف ما يعود عليها من عمان والبنادر .. كما أنني لا أعارض أن يتولى أخي ماجد ولاية افريقيا ولكن تحت سلطة الدولة الشرعية .

– سيدي السلطان إن ذلك لا يغير من مجريات الامور ونائب الملك يصر ويؤكد على ضرورة الرجوع عما نويت عليه وبذلك تحقن دماء المسلمين ، أما موضوع العائدات المالية فسوف ينظر فيه لاحقاً .

لم يجد السلطان ثويني بداً من الموافقة على شروط

مندوب نائب الملك مكرهاً عليها فعاد إلى عمان هوو جيشه وإن كان في النفس الكثير والكثير .

****

عندما وصلت الأخبار إلى زنجبار بقدوم السلطان ثويني من عمان لضم زنجبار إلى دولته خاف الناس على مصالحهم وبلغ الخوف مبلغه وانتقلت الاخبار إلى البر الافريقي وتوجس الناس خيفة من مجريات الامور .

نشط السيد برغش في تأليب الناس والمشايخ و كبار أصحاب الأملاك ضد أخيه السلطان ماجد وطلب منهم نصرة السلطان الشرعي السلطان ثويني .

بعد عدة أيام جاءت الاخبار بأن الاسطول الانجليزي اعترض الاسطول العماني واجبره على العودة إلى بلاده دون حرب ، وأشيع بأن دولة السلطان سعيد بن سلطان قد قسمت إلى دولتين في عمان وفي زنجبار وبالتالي أصبح كل من ثويني وماجد سلطاناً مستقلاً على البلاد التي تحت امرته .

فرح أهل افريقيا وزنجبار فرحاً عظيماً لأنهم لا يعرفون السلطان ثويني ولم يروه في حياتهم وبالتالي هم يميلون إلى السلطان ماجد حاكمهم الجديد لأنه تربى بينهم ويعرفهم ويعرفونه وبالتالي هو أولى بالمحبة من الغريب القادم من وراء البحار .

وصل مندوب نائب الملك إلى زنجبار في مهمة رسمية بخصوص المشكلة الناشئة بين السلطان ثويني وأخيه السلطان ماجد .

- علمت أيها السلطان أن أخاكم السلطان ثويني قد جاء بأسطول عظيم لا قبل لكم على رده وهو ينادي بأنه الوريث الشرعي لحكم بلاد والدكم سعيد بن سلطان ، وبما أنكم من أعز اصدقاء حكومة بريطانيا العظمى فلم نرغب في التخلي عنكم فقمنا بصده عنكم وعن بلادكم اكراماً لكم وللعلاقات المتميزة بيننا .

- اخبرعظمة نائب الملك بأنني لن أنسى له هذا الجميل وسنظل نذكره بالخير نحن وخلفنا وشعبنا في زنجبار وافريقيا .

****

- ٦ -

السمـاء هذا الصبـاح تبشـر بقدوم المطر .. الأرجـاء ملبدة بالغيـوم .. الهواء محـمل بالرطوبة الباردة .. أصـحاب المزارع يستبشـرون خيراً بقدوم المطر الكل خرج إلى مزرعـته ليطمئن على تجهيز مجـاري المياه لاستقبال ماء المطر وتوجيـهه التوجيه السليم .

العمـال يعملـون بهمة ونشـاط ، بينمـا خرج السيـد برغش وصديقه القنصل الفرنسي للاستمتاع بهذا الجو الجميل .

– ارى يا سيدي أن الناس قد أصبحـوا أكثر سعادة في الوقت الحالي بعد نهاية الخلاف بين الأخوين السيد مـاجد والسـيد ثويني .

– مخطئ من يظن أن الخلاف قد انتهى بين الاخوين .

– ماذا تقصد ؟

سكت السيد برغش برهة وهو ينظر إلى وجه محدثه ليرى علامات التساؤل بادية عليه .

– أقـصـد أن السلطان ثـويني وبما أنه الوريـث الشـرعي لن يسكت عن حقه مهما كلفه الامر .

– أنت تعلم أيهـا السيـد أن حكومـة بريـطانيـا لن تتـخلى عن حليفها السلطان ماجد إزاء أي خطر يتهدده .

– ستـقف معه لصد الخطر الخـارجي إلا أنها ماذا ستـفعل إزاء الخطر الداخلي .

- ماذا تقصد ياسيدي ؟

- إن السلطان ثويني ارسل إلي خطاباً يطلب مني تأليب زعماء القبائل في زنجبار للاطاحة بالسلطان ماجد أو اغتياله .

- ماذا تقول .. اغتياله ؟!

- نعم اغتيالة إنها الحرب .

- لو حدث هذا لسادت الفوضى كل المقاطعات الافريقية التابعة لكم .

نظر السيد برغش - بخبث - إلى محدثه وقال :

- عند ذلك سنعتمد على أصدقائنا الفرنسيين .

- أنا لا أضمن موقف حكومة فرنسا فقد تعتبر هذه الاحداث أموراً داخلية لا يحق لنا التدخل فيها .

- اذن الانجليز تدخلوا بها .

- هذا شأنهم .

- أنا لا أخفي عليك سراً سأتولى إدارة هذه المؤامرة والاشراف عليها .

سكت القنصل الفرنسي وهو ينظر إلى السيد برغش بخبث ثم قال :

- عفواً سيدي .. يبدو أنك في هذه المرة ستعمل لحساب أخيك ثويني .

ضحك السيد برغش ولكز رفيقه في خاصرته وقال :

- إنك ثعلب ماكر وهذه فرصتك لتثبت لشعوب الشرق صداقة فرنسا لهم ووقوفها معهم .

ابدى القنصل الاهتمام في حديثه وقال :
- أيها السيد إنك تعلم علم اليقين أن بريطانيا لن تقف موقف المتفرج على الاحداث وستنزل بكل قوتها في ساحة الصراع ولن تتخلى عن مصالحها مهما كلفها الأمر .
- عجيب أمرك أيها القنصل ... إنك تتحدث وكأننا شعوب الشرق مقسمون إلى أنصبة وكل من دولكم يسعى للحفاظ على نصيبه من الضياع .
- هذا هو الحاصل يا سيدي .
- تباً لكم أيها الغرباء إنكم تتعالون علينا بتفوقكم العلمي في آخر الدنيا .. والله لو وفقني الله للوصول إلى حكم هذه البلاد لفتحت ابواب العلم والصناعة واسباب الرقي لكل شعوب افريقيا .
رد القنصل ساخراً : شئ جميل ما تحلم به أيها السيد إلا أن بين حلمك وتحقيقه موانع كثيرة .
رد السيد برغش بشئ من الحدة : كنا نأمل من اصدقائنا أن يقفوا معنا إلا أنه يبدو لي أنكم ستقفون موقف المتفرج من الاحداث .
- لا يا سيدي لن نقف موقف المتفرج إلا أن هناك اتفاقات ومصالح تحكم علاقاتنا معكم ومع حكومة جلالة الملكة .
سكت السيد برغش أملاً أن يبوح صديقه بما تكنه سريرته .

****

لم يكن بالامر الهين على نفس السلطان ثويني أن تنفصل زنجبار وافريقيا عن دولته وأن تقسم دولة والده العظيم السلطان سعيد بن سلطان إلا أن الأمر ليس بيده ولا يمكنه أن يضحى بالعلاقات التي تربطه بحكومة نائب الملك بالهند وخاصة أن لحكومة بريطانيا العظمي اليد الطولى في المحيط الهندي والعالم ، وليس من اليسير تجاهلها وخاصة أنها منعته من استرداد حقه من أخيه ماجد بالقوة .

لجأ السلطان ثويني إلى الحيلة والدهاء وذلك بتحريض زعماء القبائل من داخل زنجبار وافريقيا واعطاهم الاماني الكبيرة .

في زنجبار لم يكن السلطان ماجد في غفلة عما يدور حوله من نشاط سياسي في البلاد إلا أن حلمه يسبق غضبه في مثل هذه الامور وخاصة إذا كانت من ذوي القربى أملاً في تعقلهم ووقوفهم بجانبه حين يعلمون جرم ما يفعلون .

قال له محافظ زنجبار سليمان بن حمد :

– مولاي .. إن سكوتك على ما يجرى في زنجبار لن يكون في صالح الحكومة .

– الخطة التي اعتمد عليها السلطان ثويني وأخوه برغش تعتمد في المقام الاول على تأييد زعماء القبائل في زنجبار ولا أعتقد أنهم سيضحون بمصالحهم بكل هذه البساطة وخاصة أنهم رجال اعمال كبار وأنت تعرف ، ما للحرب من تأثير عليهم .

– عفواً مولاي .. إنني أخالفك هذه النظرة فلا تنسى الوعود

الكبيرة والمغرية لهم وهي كافية لجذب مطامعهم وبالتالي الحصول على تأييدهم بالمال والرجال .

– غاب عن ذهنك جانب أيها المحافظ أنت تعلم أن أخي برغش هو الذي يتولى متابعة هذه الأمور باسم السلطان ثويني بحجة أنه الوريث الشرعي للحكم إلا أنني أكون لا أعرف برغشا إن كانت الأمور بهذه السذاجة .

– عفواً مولاي لم أفطن إلى ما تقصده.

– أقصد أنني أعرف برغشاً حق المعرفة فقد تربينا معاً في زنجبار وأنا أقرب الناس إلى معرفة خصاله . . فهو لا يعمل لحساب أحد وإنما يعمل لنفسه .

سكت المحافظ قليلاً ثم قال مستفسراً:

– تقصد أنه ينوي . . .

قاطعه السلطان :

– نعم ينوي تولي حكومة زنجبار ومحاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرضت لها له يد في تدبيرها .

– لذلك يا مولاي أري أن تقضي على كل أسباب زعزعة الحكومة واثارة المتاعب للدولة .

– سأناقش هذا الامر مع القنصل الانجليزي لأرى وجهة نظره

كان السلطان ماجد عليلاً سقيم البدن يعاني من نوبة صرع تنتابه بين حين وآخر فكم تمنى أن يكون أخوه برغش بجانبه يحمل عنه بعض عبء العمل والمسؤلية .

الرغبة في السلطة والاغراءات الخارجية واختلاف اطماع

الدول الكبرى كل ذلك جعل من الأخوين في زنجبار يبتعد عن أخيه .

****

الاشاعات تملأ الشارع في زنجبار حول خلافات الحكام على الحكم وحول وراثة الدولة العظيمة للسلطان سعيد بن سطان ونذير الحرب من عمان لافريقيا لم ينته بعد بالرغم من أن الجيوش عادت إلى أوطانها إلا أن اسباب الخلاف قائمة .

سرت هذا الصباح أخبار جاءت من الميناء في زنجبار تقول بوصول وفد من عمان يضم كبار أبناء عمومة ابناء السلطان ليعقد الصلح بين سلطان مسقط وسلطان زنجبار برئاسة إبن عمهم حمد بن سالم ، ويوجدوا حلاً وسطاً للمشكلة القائمة بينهما .

استقبل السلطان ماجد ابناء عمومته وكبار رجال الوفد بشئ من الحذر .

طلب رئيس الوفد الخلوة بالسلطان ماجد.

– أنت تعلم أيها السلطان أن حالة النزاع بينك وبين أخيك ثويني لا تؤدي إلا إلى ضعف دولة والدكم سعيد بن سلطان وكسر هيبتها بين دول العالم ، ولو كان والدكم على قيد الحياة لما أرضاه هذا الحال .

– يؤسفني أن تصل الامور بيني وبين أخي ثويني إلى هذا الحد

– ولم لا تسعى إلى إنهاء هذا الخلاف بينك وبينه .
– وماذا بوسعي أن أفعل له .
– أرجو يا سيدي أن تثق بي واعلم أنني لا أسعى إلا لرفعة دولة سعيد بن سلطان وعزة ابنائه وبإمكاني أن أقدم الحل لكما إن كنتما تنتصحان برأيي .
– تفضل قل ما عندك .
– بحكم معرفتي لنوايا السلطان ثويني فإنه لا يريد من زنجبار سوى الاعتراف به سلطاناً عليها وأن تكون تابعة له وقد رفع قضية بهذا الخصوص إلى عظمة نائب الملك بالهند لينظر في الدعوى بينكما ، وأنت يا سيدي تريد أن تستقل بزنجبار وبإمكاني أن أوفق بينكما كل حسب رغبته.
– كيف يكون ذلك ؟
– أنت تعلم يا سيدي أن عائدات زنجباروافريقيا أضعاف أضعاف عائدات عمان والبنادر وقد كان والدك السلطان سعيد يمد القصر في مسقط بالأموال من زنجبار لتسيير أمور عمان فلم لا تعود الأمور على ما كانت عليه ونحل الخلاف القائم بينكما .
– ماذا تقصد ؟
– أقصد يا سيدي أن الرجل الحكيم يدفع عن نفسه الأذى بالمال إن أمكن ذلك قبل أن يدفعه بالقوة .
– أوضح .

- أرى يا سيدي أن تدفع زنجبار لعمان أربعين الف قرش سنوياً وبذلك ينظر إليها السلطان ثويني بأنها تابعة له بينما تكون أنت قد فزت بحكم زنجبار نظير هذا المبلغ الزهيد ويتحقق لكل منكما غرضه .

- كيف أكون مستقلاً ودولتي تدفع الضريبة السنوية لدولة أخرى .

- عفواً سيدي .. هذا هو الحاصل في عهد والدكم طيب الله ثراه ولم تقيس الأمور بهذا المقياس إن هذا الصلح مجرد صلح توفيقي بينكما بينما قضيتكما لا تزال بيد عظمة نائب الملك بالهند .

سكت السيد ماجد بعضاً من الوقت مقلباً كل الوجوه في الصلح الذي يعرضه إبن عمه عليه .

عرض السلطان ماجد أمر الصلح على جميع اعضاء الجلسة والوفد المفاوض واشترط في نهاية النقاش أن يكون هذا المبلغ ملزماً لحكام زنجبار ونسلهم لحكام عمان ونسلهم فيما بعد على أن يتعهد رئيس الوفد بقبول السلطان ثويني بهذا الصلح .

كان بعض رجال الدولة في زنجبار مستاء من هذاا الصلح ويرى أن الضريبة السنوية ستكلف خزينة الدولة مبالغ طائلة ستؤثر على أداء الانفاق في افريقيا .

- عفواً سيدي ... أرى أنك استعجلت بالموافقة على المبلغ السنوي لحكومة عمان .

– لا تنسى أن عمان تعتمد اعتماداً كبيراً على معونات زنجبار السنوية منذ عهد والدي وبالتالي ليس من السهل استغناءها عن هذه المعونة الان ... ولعل هذه المعونة هي الشغل الشاغل للسلطان ثويني في عمان واصراره على انضمام زنجبار له فلماذا لا نسخرالمال في استقرار حكومتنا ودولتنا في افريقيا .. وهل نسيت سياسة أبي في القضاء على تمرد القبائل عليه عندما كان يقدم لهم المال فيرتاح من شرورهم والرجل الحكيم يسخر المال لخدمة اغراضه ومصالحه .

– لا خلاف في ذلك يا مولاي إلا أنني أرى أن هذا المبلغ سيرهق ميزانية الدولة على المدى البعيد .

– بشئ من التنضم وترشيد الانفاق سندبر هذا المبلغ بإذن الله .

كان السلطان ماجد متعقلاً ودوداً محبوباً من شعبه لا يحب اثارة النزاعات مع خصومه وكان متسامحاً إلى أبعد الحدود مما دفع بعض ضعاف النفوس ومنتهزي الفرص إلى استغلال هذا الجانب منه .

****

تبدو الحياة في زنجبار تسير على خير ما يرام إلا أن المعارضين للحكومة وأصحاب الرأي المخالف يسعون إلى توحيد انفسهم وتقوية مركزهم المالي والعسكري .

هذا المساء جميع اعضاء المعارضة مجتمعون في قصر

السيد برغش الذي ترأس الاجتماع بينما شيوخ القبائل وتجار زنجبار يتصدرون الجلسة .

افتتح السيد برغش الجلسة بقوله :

– ارى الجميع قد حضروا باستثناء الشيخ حسين بن محمد البرواني وشيوخ العلم في زنجبار فهل من أخبار عنهم .

– بلغنا يا سيدي أن الشيخ حسين بن محمد البرواني مرتبط بمعاهدة مع والدك السلطان سعيد وهي عدم التعرض للحكومة مقابل ضمان عدم ايقاع العقوبة به ازاء أي عمل تقوم به الجماعة ولذلك هو ملتزم بالمعاهدة إلى اليوم حفاظاً على امواله .

أما شيوخ العلم فقد اصبحوا من حاشية السلطان ماجد بعد أن ولاهم القضاء ودور العلم في عدد من المقاطعات ومن بقى منهم فهاهم بيننا .

– أراحنا الله منهم فقد يكون وجودهم بيننا مدعاة للخلاف . . تعرفون أنني جمعت عدداً من البنادق لا بأس به ، وعدداً من المدافع وقد احتفظت بهذا السلاح هنا في هذا القصر والبعض الاخر في مزرعتنا مرسيليا ، فهي ذات موقع استراتيجي وتحصينات جيدة وسينتقل الرجال إليها في حالة فشل المقاومة في المدينة .

– عفواً سيدي .. تتحدث عن خطتنا السابقة وكأننا سنقوم بتنفيذها بينما السلطان ماجد وأخوكم السلطان ثويني اصطلحا في أمرهم ولم يعد لنا من سبيل في الامر .

نظر السيد برغش إلى محدثة ليستشف سؤال الخبث في

عينيه ثم قال :
- نعم حدث الاتفاق المذكور ولكن هل تظن أن السلطان ثويني يتنازل عن حقه في زنجبار وافريقيا ؟ .. ليكن في علمكم أنني تلقيت من أخي ثويني رسالة بهذا الشأن ومبلغاً من المال مقداره اربعون الف قرش حمله إلي أحد اعضاء الوفد المفاوض فما يعنى هذا ؟ !!
- عرفنا هذا يا سيدي عن مواقفكم أنتم ابناء السلطان ولكن ماذا عن موقف الحكومة الانجليزية .
- وماذا سيكون بوسعها أن تفعل إذا علمت بالامر الواقع . .. ان هؤلاء الغرباء لا يفكرون بي أو بك وإنما يفكرون في مصلحتهم ورفعة تاج عجوزهم الشمطاء فيكتوريا وسيكونون أصدقاء لنا كما هم لماجد .
- سمعت يا سيدي أن السلطان ماجد علم بتحركاتنا الاخيرة وعلم بجمعنا للسلاح .
- علمت بذلك .
قد بلغني نية القبض عليك وعلى أبرز شخصياتنا من الشيوخ .
- إنني أعرف أخي جيداً فهو سيحاول أن يسوى الامور صلحاً بيننا .
- وهل تظن أن القنصل ركبي سيسكت عنا وهو الذي يحرض السلطان منذ مدة طويلة للقبض علينا وإيداعنا السجن .
- لولا وجود هذا الرجل بيننا لكنا في أحسن حال نحن ابناء سعيد بن سلطان وأقسم بالله ولو لم يكن هذا الرجل يعيش في

زنجبار لما طالب أخي ماجد بحكمها دون أخيه السلطان ثويني .

– ما المطلوب منا الان ؟
– نفذوا الخطة كما رسمت وتابعوا أخباري مع أخي ماجد يوماً بيوم فبثوا عيونكم في كل مكان وتتبعوا أخبار الدولة أولاً بأول وسيكون النصر حليفنا بإذن الله.

****

- ٧ -

هذا الصباح بدت زنجبار شبه مشلولة فالأسواق مغلقة بينما الناس امتنعوا عن مباشرة اعمالهم .. بينما العبيد والغوغاء يحدثون شغباً في كل مكان، أخبار أحداث النهب والسرقة يتداولها الناس في كل مكان بينما جند السلطان في أهبة الاستعداد بسلاحهم في كل مكان، بينما السفن الحربية الانجليزية والسلطانية في وضع الاستعداد للهجوم إذا حدث أي طارئ .

في مجلس السلطان ماجد كان القنصل ركبي يسير ذارعاً المجلس بينما السلطان ينظر إلى البعيد متأملاً ما آلت إليه الأمور في دولته .. وما وصل إليه الحال بينه وبين أخيه برغش .

– ألم أقل لك يا سيدي أن تمنع هذا الامر قبل أن يستفحل فانظر كيف أصبحت الامور .

– اسمع أيها القنصل إنني لا أستغني عن اخوتي أبناء سعيد بن سلطان فما قيمتي بدونهم .

– عفواً أيها السلطان .. إنهم باعوك لاجل غيرك .

– هذه نزوة طيش من أخي برغش ولا بد من معالجتها .

– كيف نعالجها وأنت تسعى إليه منذ أكثر من عام دون فائدة تذكر .. إنه مصر على نواياه .

– سأستدعيه حالاً واستمع لمطالبه ونواياه .

ضحك القنصل ضحكة عالية ساخراً من السلطان وقال :

– يالك من سلطان طيب يا سيدي .. وكأنك لا تعرف برغشاً

وعناده واكباره .

ارسل السلطان ماجد علي بن سعود وهو أحد المقربين إليه لاستدعاء السيد برغش إلى مجلس السلطان إلا أن السيد برغش رفض المثول أمام السلطان واعلن التمرد عليه .

حاول علي بن سعود إقناعه بعدم جدوى ما يفلعه وانه سيعرض البلاد للضعف وسيعرض نفسه واصحابه للمسئولية وإراقة الدماء .

رد عليه السيد برغش بأن عنده ما يكفي من السلاح لحماية نفسه واصحابه .

– عفواً سيدي لقد يئست منه وهو مصر على المواجهة بالسلاح .

انتشى القنصل للخبر وقال :

– أرجو الله أن يقتنع السلطان بما قلته له .. لابد من القبض على برغش واتباعه مهما كلف الامر .

– لا .

– ماذا تقصد يا سيدي ؟ !!

– لن أسمح بإراقة الدماء . . حاصروا برغشاً في قصره وامنعوه من الخروج وامنعوا الدخول إليه من قبل اعوانه .

– وإن جاء اطلاق النار من داخل القصر ؟

– عند ذلك لكل حادثة حديث .

انتشر الجنود حول قصر السيد برغش وفرضت عليه

الحراسة المشددة .

كان كبار السن وعقلاء الناس ممن عاصروا مجد زنجبار في عهد السلطان سعيد بن سلطان بألمون لما وصلت إليه احوال مدينتهم الجميلة من فوضى ونهب وخوف .

أين السلطان الكبير بهيبته ووقاره وحاشيته وجنده وسلطانه وحكمته ونصحه ومواقفه وعلاقاته الدولية، أين هذا وزنجبار اليوم منغلقة على نفسها .. اسواقها مغلقة ونظامها مفقود وأمن افتقدته والعبيد والغوغاء يعيثون فساداً في الأرض وابناء السلطان يتناحرون فيما بينهم .

ضاق السيد برغش وجنده ذرعاً من الحصار وكاد الطعام أن ينفذ من القصر فتحرشوا بالحراس واطلقوا عليهم النار عدة طلقات فجاءهم الرد بالمثل وما هي إلا سويعات حتى ارتجت جزيرة زنجبار وإذا قذيفة مدفع من أحد البوارج الانجليزية بالبحر تدك احدى ردهات القصر حينها توقف الرماه داخل القصر وعلموا أن مجهودهم لا يجدي شيئاً فلزموا الهدوء حتى يأمرهم السيد برغش مرة أخرى .

في خارج القصر لم يسكت انصاره وإنما نشطوا في اثارة القلاقل واغروا الأوباش بالسرقة والاخلال بالنظام .

في الصباح الباكر توجهت مجموعة من بنات السلطان الراحل إلي القصر المحاصر لزيارة السيد برغش متدثرات بالعبي السوداء فلا يظهر منهن إلا اطراف اصابعهن .

منعهن الحراس أمام بوابة القصر إلا أن السيدة خولة بنت السلطان سعيد دفعت بالحارس وتقدمت إلى الامام وتبعتها أخواتها فلم يجرؤ الحارس على اعتراضهن خوفاً من عقاب السلطان ماجد واحتراماً لذكرى والدهن السلطان سعيد، وماذا ستفعل مجموعة من النساء المجردات من السلاح إن قمن بزيارة السيد المحاصر وخاصة أن الحراسة تحيط بالقصر من كل جانب .

– عليك يا سيدي أن تلبس هذه العباءة .

– ماذا تقولين ؟!!

– حتى تصل إلى أعوانك في المزرعة مرسيليا وبذلك يتعزز وضعهم بوجودك بينهم .

– ولا يكون خروجي إلا بلبس ملابس النساء ! !

– هذه الحيلة الوحيدة التي توصلنا إليها .

– ماذا سيقول الناس عن ذلك ؟

– سيقولون الحرب خدعة .

خرجت النساء بعد زيارة السيد برغش في قصره .. كانت احداهن طويلة القامة، ضخمة الجثة تسير في وسطهن .

انتبه أحد العساكر إلى الحيلة، وفطن للمرأة فارعة الطول بين اترابها إلا أنه لزم الصمت احتراماً لذكرى السلطان سعيد إبن سلطان وخوفاً على السيد برغش من أن يتعرض لعقاب أشد صرامة من قبل أخيه ماجد وخاصة أن القنصل ركبي يكيد الدسائس للسيد برغش ويوغر صدر السلطان ماجد عليه ... وماذا يضره هو من هروبه وخاصة أن عقيد العسكر حاضراً وشهد خروجهن فما يضير الجنود إن كان عقيدهم قد حضر الموقف وشاهد النساء وهن خارجات من القصر .

****

- ٨ -

فرح المعارضون بسلامة وصول زعيمهم إليهم واستعدوا للمعركة الفاصلة والتي توقعوها أن تكون في أي وقت من اليوم .

كان القنصل الانجليزي يشتاط غضباً .

- أنت أيها السلطان ستعرض مصالح الحكومة البريطانية في افريقيا للخطر وذلك بتهاونك مع المتمردين على النظام في هذا البلد .

كان السلطان ماجد مشغول الفكر حول مستجدات الامور في هذا البلد الجميل، ويأسف لحالة التمرد التي يقودها ضده أقرب الناس إليه، كم تمنى أن يكون السيد برغش ساعده الأيمن في تسيير أمور الدولة وخاصة أنها تواجه متاعب جمه من السلطان ثويني سلطان عمان وهي متاعب خارجية لا تقل عن المتاعب الداخلية التي يثيرها السيد برغش نفسه، بذل السلطان ماجد جهداً كبيراً للمصالحة مع أخيه ولمنع إراقة الدماء بين أفراد شعبه إلا أنه بعد مجريات الاحداث الاخيرة يبدو أنه شر لابد منه .. لقد اتخذ كل التدابير والوسائل للحيلولة دون ذلك ، كذلك يبدوا أن السيد برغش يسيئ استغلال حلم أخيه السلطان ماجد على تصرفاته وبالتالي تمادى في المزيد من التمرد والعصيان فلابد من الحفاظ على

وحدة البلاد في افريقيا وزنجبار وحفظ الأمن والنظام بهما .
- لو كنت ياسيدي قد انهيت بوادر التمرد من أولها لما وصلت الامور إلى ما وصلت إليه **الآن** .
- كنت أخشى أن أتهم في اساءة معاملة إخواني، وكنت طامعاً لوقوفهم بجانبي لنكون يداً واحدة ولكن يبدو أن الامور تسير على غير ما نتمنى .
- وماذا ستفعل **الآن** يا سيدي ؟
- سأذهب بنفسي لقيادة العساكر سنهجم على المزرعة المتحصنين بها ونلقي القبض عليهم .
- دعني أكفيك هذه المهمة وساقوم بها بأسرع وقت ممكن والبوارج البريطانية ستكون في الخدمة بأية لحظة يأمر بها السلطان .
- لا إنني لا أحب الدمار وقذائف المدافع ستهدم العمران وتحرق الأخضر واليابس فنحن في غنى عن ذلك .
- يسعدني يا مولاي أنا وجنودي أن نكون في معيتك إلى هناك .
- وأنا يسعدني ذلك .

أمر السلطان بجمع الجنود وتسليحهم واتجهوا جميعاً إلى مزرعة مرسيليا التي يتحصن بها المتمردون بزعامة السيد برغش .

عندما اقترب عدد من الجنود من أسوار المزرعة إنطلقت البنادق من بين التحصينات المحكمة بالمزرعة فأردتهم قتلى ، غضب السلطان لذلك فأمر جنده بالهجوم فأعترضوا على

ذلك بحجة أنهم في منطقة مكشوفة بينما عدوهم محصن خلف المتاريس فليس من الحصافة أن يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة دون تدبير .

سكت السلطان برهة ثم التفت إلى الكابتن ركبي القنصل الانجليزي في زنجبار .

– ألم تقل أنك ستكفيني هذه المهمة .

– نعم يا سيدي .

– إذن أوكل لك هذه المهمة بشرط عدم إراقة الدماء قدر المستطاع وفي حالة الدفاع عن النفس .. أريد جميع المتمردين اسرى في القصر .

أمر الكابتن ركبي باحضار بعض المدافع وصوب نيرانها باتجاه القصر الذي بالمزرعة وإلى بعض التحصينات بها فأدخل الرعب في قلوب المتمردين وخاصة أن النار تشتعل في كل جوانب المزرعة .

اعطى الكابتن اشارة الهجوم فتم تبادل اطلاق النار بين الفريقين وقد صمد المتمردون وقاتلوا ببسالة وخاصة بعد أن أصيب السيد برغش بطلق ناري .

في المساء توقف الهجوم على أمل أن تعاد العملية في الصباح الباكر.

في الغد بدأ الهجوم مرة أخرى وكان اطلاق النار من طرف واحد .

كانت المزرعة خالية من الحركة ، كان الجنود يفتشون في

كل مكان والخوف يملأ قلوبهم من خدعة المتمردين الذين قد يكونوا مختبيئن هنا أو هناك في كمين معد .

تأكد الكابتن ركبي من خلو المزرعة واشتاط غضباً واعطى اشارته للبوارج وبحريتها بتدمير كل شئ بالمزرعة وفي لحظات تحولت المزرعة إلى خراب بعد أن كانت بالأمس عامرة .

طلب الكابتن ركبي من السلطان الاذن بمداهمة بيوت المتمردين في المدينة وبمحاصرة قصر السيد برغش وتم القبض على جميع زعماء المتمردين والمشايخ دون إراقة للدماء .

قام الوجهاء ورجال الدولة باقناع السيد برغش بالاستسلام والمصالحة مع أخيه السلطان ماجد.

– هاهو يا سيدي السيد برغش بن سعيد يأتي إليك صاغراً يطلب الصفح عما بدر منه .

– ما بدر منه ليس بالامر الهين الذي يسهل الصفح عنه .

– حلمك أيها السلطان يسع شعب بلادك السعيدة جميعاً فكيف بأخيك برغش بن سعيد .

– لكم أيها الوجهاء ذلك بشرط أن يقسم بعدم العودة إلى ذلك مرة أخرى بأي صورة كانت .. وأن يرحل عن زنجبار حتى آمره بالرجوع مرة أخرى .

– ماذ تقول أيها السيد ؟

– ليس لي قول بعد قول أخي السلطان ماجد وأنا طوع أمره .

– احضروا المصحف ودعوه يقسم على ذلك وكونوا عليه من

الشاهدين .

أحضر المصحف ووضع السيد برغش يده عليه وأقسم بالتوبة عما فعله وعدم العودة لذلك بأي صورة من الصور ، وأن يكون طوع إشارة أخيه السلطان ماجد في كل الامور .

****

ليست المرة الأولى التي يغادر فيها السيد برغش أرض زنجبار إلا ان هذا اليوم يختلف عن سائر الأيام .

كان يسافر في مهمات سلطانية سامية على أمل إنجازها والعودة مرة أخرى إلى احضان زنجبار ، إلا أن هذه المرة يخرج مطروداً من مملكة والده بعد أن أساء التعامل مع سلطان البلاد الجديد .

إن لواعج النفس هذا اليوم لا يسهل التعبير عنها وذرف الدموع ليست من شيم الرجال ، ولابد من إظهار التجلد .

أكثر الناس هذا اليوم تجمعوا عند الميناء لتوديع سيدهم وإبن سلطانهم الراحل ، يودعونه بالصمت ونظرات الشفقة .

يخرج السيد برغش كسير النفس مودع من أصدقائه الذين لا يملكون إلا الدعاء له بالتوفيق وبحسن العاقبة .

ركب السفينة المعدة لرحيله وبمعيته أخوه السيد عبد العزيز

وبعض الاصحاب والخدم .

ابتعدت السفينة عن الشاطئ وزنجبار تغيب رويداً رويداً وراء الأفق بينما السيد المهاب يجلس مع صراع النفس وصراع أمواج البحر العاتية .

تمـت

المؤلف :

- سيف بن سعيد السعدي .
- ولد في ولاية السويق عام ١٩٦٧م
- يعمل معلما بمدرسة المبرد الاعدادية بولاية السويق ص.ب : ٢٧١ السويق

صدر للمؤلف :

١- جراح السنين « رواية » ١٩٨٩
٢- خريف الزمن « رواية » ١٩٩٠
٣- من الجانب الاخر « رواية » ١٩٩٧

رقم الايداع ٩٦/٢٨

طبع بمطابع الباطنة ومكتبتها ش.م.م – هاتف : ٣٢/ ٧٩٧١٣٣

